تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

مع سنة رسول الله ﷺ
فضائل دقائق الأسحار

ص 2

المواطنة في الأفق السياسي للسيرة النبوية

الدكتور عبد المجيد النجار ص 8

المحجة

بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المؤسس
المفضل فلواتي رحمه الله تعالى

www.almahajjafes.net almahajjafes@gmail.com نصف شهرية جامعة

المديرالمسؤول : د. عبد العلي حجيج • 11 صفر 1436 هـ - 4 دجنبر 2014م • العدد 430 • الثمن 3 دراهم

افتتاحية

السيرة النبوية: منهج عمل متجدد

دراسة السيرة النبوية العطرة وإعداد البرامج والخطط في ضوئها، من صميم البناء السديد للدين والحياة، وإرساء الأسس المتينة والقواعد السليمة للدعوة إلى الله على بصيرة، ونشر مبادئ الإسلام وتعاليمه نقية خالصة سمحة لا تشوبها شائبةٌ قبَليةٌ أو فكريةٌ أو مذهبيةٌ أو سياسيةٌ أو حزبيةٌ، أو غير ذلك مما طرأ على الأمة من دواخل على امتداد تاريخها.

إن السيرة النبوية - كما هو معروف- هي الترجمة العملية لحياة المصطفى ﷺ بما فيها من صبر وتضحية و بذل وعطاء وجِدّ واجتهاد وكفاح وجهاد في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل، وتبليغ دينه للنّاس، وبناء مجتمع صالح وثيق الصلة بالله تعالى أولا، مؤسَّس على التآلف والتعاون، لا فضل فيه لغَني على فقير، ولا لعربي على أعجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، وتأسيس دولة قائمة على أخلاق الإسلام، يسود فيها الحق والصدق والعدل والمساواة والإخاء.

ولذلك فإن استحضار السيرة النبوية واستلهامَها في مسيرة الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتعليمية تؤسس عدة أمور لعل من بينها:

● اتخاذ الرسول ﷺ قدوة في الدين والدّنيا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب :21). فبدعوته ﷺ كنا خير أمة أخرجت للناس. ولا شك أن اتخاذه ﷺ قدوة يؤدي إل تعميق الإيمان في القلوب، والعمل بما أنزل الله تعالى.

● معرفة عظمة الإسلام وقوته، إذ أنه ﷺ استطاع خلال ثلاث وعشرين سنة أن يغير سلوك قَوْم ألداء خصمين متمسكين بعقيدتهم الوثنية، مدافعين عنها حتى الرمق الأخير، فاستطاع ﷺ بسيرته فيهم أن يُحولهم إلى قوم تجمعهم كلمة الإسلام يأتمرون بأمره، ويهتدون بهديه، فأصبحوا بذالك دعاة لهذا الدين في العالمين ناصرين له بأنفسهم وأموالهم، فاستطاعوا بذلك أن يفتحوا قلوب الناس بالمحبة والعدل قبل أن يفتحوا حصونهم، وبذلك ساد الإسلامُ العالمَ في ظرف قياسي.

● أن هذه السيرة العطرة هي ميزان لكل سيرة، فردية كانت أو جماعية، نظرية أو تطبيقية، ففي ضوئها تُحكَّم كل الأقوال والأفعال، فما كان منها موافقا لهذه السيرة كان هو المقبول، وما لم يكن كذلك كان مرفوضا مردودا على صاحبه؛ قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: «إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر؛ فعليه تُعرض الأشياء، على خُلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل».

● أنها الإطار النظري السليم والمرجع المنهجي القويم للدعوة إلى الله على بصيرة، إذ أنّ الداعي إلى الله سبحانه لابد أن يكون على دراية بالمنهج النبوي في الدعوة من خلال السيرة، اهتداء بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ (يوسف : 108). ولَعل مَدار الأمر فِي هذا البَاب على الرفق في التعامل ولِين الجانب وسمو الخلق وخفض الجناح، فهي من الأخلاق الجامعة المؤثرة في النفوس؛ عنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه قَالَ :«لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّابًا، وَلَا فَحَّاشًا، وَلَا لَعَّانًا» (رواه البخاري).

وبَعد، فإن الغرض من دراسة السِّيرة النّبويّة، لا ينبغي أن ينحصر في الوقوف على ذكر الوقائع التاريخية، وسرد قصصها وأحداثها، وإنما استحضار هديه ﷺ في الحياة ليكون هذا الهدي نبراسا يضيء مسالك الطريق لكل مؤمن ولكل باحث عن الحقيقة والسكينة والطمأنينة.

وقفات مع مفهوم قسوة القلوب

ص 2

آفاق واعدة لخدمة السيرة النبوية

في المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في السيرة النبوية بفاس

ص 8

الإسلام وسطية واعتدال لو كان له رجال

ص 5

شيء من التفكير الإصلاحي عند الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس

ص 7

وقفات مع مفهوم قسوة القلوب

دة . كلثومة دخوش

مدار القسوة في اللغة على الشدة والصلابة (1). ولقد وردت القسوة في القرآن الكريم في سبعة مواضع، ولم ترد إلا متصلة بالقلب إسنادا أو وصفا، وهذا يدل على كون القسوة في القرآن الكريم مفهوما قلبيا صرفا، وهو بمعنى تجاوز القلب عن ذكر الله تعالى، كما يتضح من قوله سبحانه : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صدرَه للاسلام فهو على نور مّن ربه فويل للقاسية قلوبُهُم من ذكر الله أولئك في ضلال مُبين اللهُ نزَّل أحسنَ الحَديث كتاباً مُّتَشابهاً مثَاني تَقْشَعرُّ منهُ جُلودُ الَّذين يَخْشوْن ربهمْ ثم تَلين جلودُهُم وقُلوبهُم إلى ذكر الله﴾ (الزمر 221).

هذا النص يضع القسوة عن ذكر الله مقابلة لليونة الجلود والقلوب إلى ذكر الله،

ثم إن قسوة القلوب – كما يتضح من جميع نصوصها – أمر طارئ على القلب إما بسبب طول الأمد كما في كما في قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ يانِ للّذين آمنُوا أَنْ تخشع قلوبهم لذكر اللهِ وما نَزَلَ من الحقّ ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتابَ مِنْ قَبْلُ فطالَ عليْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قلوبُهُم وكثيرٌ منْهم فاسقون اعْلَمُوا أنّ اللهَ يُحْيي الأرْضَ بعْدَ مَوْتِها قد بَيَّنَا لكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقلون﴾ (الحديد، 15 – 16). أوعقابا من اللهَ تعالى كما في قوله سبحانه عن بني إسرائيل: ﴿فَبِما نَقْضِهم ميثاقَهُم لعَنَّاهُم وجَعَلْنا قلوبَهُم قاسيَة﴾ (المائدة 14).

ومن موارد قسوة القلوب نعرف أن من اتصف بها يصبح عرضة للفتنة ومحلا لعمل الشيطان كما في قوله سبحانه: ﴿لِيَجْعَل ما يُلْقِي الشّيطانُ فتنةً للذين في قلوبهم مرَضٌ والقاسيَة قُلوبهم وإنَّ الظالمين لَفي شقاق بعيد﴾ (الحج 51).

من خلال ما سبق، فإن للمفهوم خصائص منها :

- أن القسوة مصدرها القلب.
- أن قسوة القلب تكون بمجاوزة عن ذكر الله تعالى.
- أنها مقابلة لليونة القلب إلى ذكر الله تعالى.
- أنها طارئة على القلب إما بسبب طول الأمد أو على وجه العقاب.
- أن المتصف بها يصبح فريسة للشيطان ومحلا لفتنته.

إذا كان الأمر كما سبق، فإن الخط الرابط بين قسوة القلوب والمعصية يكون خطا مزدوجا، وذلك يمثل كالآتي:

القسوة ⇄ المعصية

وازدواج الخط الرابط بين المفهومين يعني أن قسوة القلوب تؤدي الى العصيان، كما أن العصيان بدوره يؤدي الى قسوة القلوب وذلك على سبيل العقاب. وشاهد الأول قوله تعالى: ﴿لِيَجْعلَ مَا يُلْقِي الشيْطانُ فِتْنَةً لِّلَّذينَ في قُلوبِهِم مرضٌ والقاسيَةِ قُلوبهم﴾ (الحج 51)

وشاهد الثاني قوله سبحانه: ﴿فَبِما نَقْضِهِم ميثاقَهُم لَعَنَّاهم وجَعَلْنا قُلوبَهُم قاسِيَةً﴾ (المائدة 14).

ونحن قد عرفنا أن قسوة القلوب تكون بمعنى المجاوزة عن ذكر الله تعالى، لذلك فإن هناك علاقة واضحة بين عدم الاتعاظ بالذكر وبين قسوة القلوب المؤدية إلى الوقوع فيما يغضب الله عز وجل.

ولكي نقترب من هذه العلاقة، سنعرض قوله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل:

﴿أَلَمْ يانِ للّذين آمنُوا أَنْ تخشع قلوبهم لذكر اللهِ وما نَزَلَ من الحقّ ولا يكونوا كالذين أُوتوا الكتابَ مِنْ قَبْلُ فطالَ عليْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قلوبُهُم وكثيرٌ منْهم فاسقون اعْلَمُوا أنّ اللهَ يُحْيي الأرْضَ بعْدَ مَوْتِها قد بَيَّنَا لكُمُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقلون﴾ (الحديد 15 – 16).

إن الله تعالى قد استبطأ قلوب المؤمنين (2) فعاتبهم على عدم خشوع قلوبهم لذكر الله تعالى، «والخشوع يتضمن معنيين: أحدهما التواضع والذل. والثاني: السكون والطمأنينة، وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة. فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضا» (3)، وعتابهم يقتضي تحذيرهم من الفسوق الناتج عن قسوة القلوب (4)، وذكر الله هنا يعني مواعظ الله (5)، أو «ذكر الله ووحيه الذي بين أظهرهم، ويحتمل أن يكون المعنى : لأجل تذكير الله إياهم وأوامره فيهم» (6).

فكما أن الذين أوتوا الكتاب لما طال عليهم الأمد قست قلوبهم، أي :قل خيرها وانفعالها للطاعات وسكنت إلى المعاصي، فإن من لم يخشع قلبه لذكر الله معرض لذلك أيضا.

وخشوع القلب لذكر الله بعد قسوته شبيه بحياة الأرض بعد موتها، وذلك ما يقرره قوله تعالى : ﴿اعلموا أنَّ اللهَ يُحْيي الارض بعْدَ مَوْتِها قد بَيَّنا لكم الايات لَعَلّكم تَعْقلون﴾ (الآية 16)، وعنصر الحياة في هذه الصورة هو ذكر الله الذي يلين القلب ويشرح الصدر.

وهذا الاقتران بين ذكر حياة القلب بالذكر، وحياة الأرض بالماء من جهة ومقابلته بقسوة القلوب من جهة ثانية ورد –بالإضافة إلى نص الحديد– في سورة الزمر، في قوله تعالى : ﴿ألم تَرَ أنَّ الله أنْزَلَ منَ السّماء ماءً فسَلَكَه ينابيعَ في الارض ثم يُخْرِج به زَرْعا مختَلفا الوانُه ثم يَهيجُ فتَرَاه مُصفرا ثم يجعلهُ حُطاماً إن في ذلك لذكرى لأولي الالْباب اَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للاسلام فَهُوعلى نور مِّن رَبّه فَوَيْلٌ للقاسية قُلوبَهُم مِن ذكْر اللّه أولئك في ضلال مُّبين الله أَنْزَلَ أَحسنَ الحَديث كتاباً متَشابهاً مَثاني تَقْشَعرُّ منْه جُلود الَذين يخشون ربهم ثم تَلينُ جلودُهُم وقُلوبهم إلى ذِكْر الله﴾ (الزمر: 20–21–22).

فالتشبيه واضح بين تنزيل الماء من السماء، وتنزيل أحسن الحديث أيضا، ثم الفرق في الاستجابة لهذا الحديث واضح بين من في قلبه لين وخشوع، ومن في قلبه قسوة تمنعه من الاتعاظ بما نزل من الحق، كما أن نزول الماء من السماء، يثمر في مكان دون غيره ممن تربته حجارة قاسية، كما قال سبحانه في سورة البقرة مخاطبا بني إسرائيل: ﴿ثم قَسَت قلوبكُم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشَدّ قسوة﴾ (الآية 73).

من خلال ما سبق يظهر جليا أن طول الأمد يعد من أسباب قسوة القلوب، وأن من قسا قلبه يوشك أن يصبح من الفاسقين الخارجين عن طاعة الله عز وجل.

لكن هذا التلازم بين قسوة القلوب والفسوق يكون من وجهين :

- الأول: وهو المرتبط بالنصوص السابقة استنادا إلى أسباب نزول بعضها (7)، ويكون باعتبار الذكر المقصود هو القرآن الكريم، وأن من اتصف بقسوة القلب لا يتعظ به، ثم ينتج عن ذلك ابتعاده عن هديه، ومن ثم وقوعه في المعصية.
- الثاني: ويكون بحسب اعتبار القسوة حالة من حالات القلب الذي يخلو من ذكر الله تعالى، والذكر المقصود هو ضد النسيان (8)، أي أن من قسا قلبه ينسى الله فينساه الله تعالى، ومن ثم يخطو على غير هدى، فيضل عن سبيل الله تعالى، وهذا ما نجده في قوله سبحانه: ﴿يا أيُّها الذين امَنُوا اتّقُوا اللهَ ولْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لغد واتّقوا اللهَ إنَّ اللهَ خبيرٌ بمَا تَعْملون ولاً تكونوا كالذين نَسُوا اللهَ فأنْساهُم أنفُسَهُم أولئك هم الفاسقون﴾ (الحشر–18– 19).

والخلاصة أن القلب متى انشغل عن ذكر الله تعالى حصلت فيه قسوة تبعده عن طاعة الله وتجعله عرضة لطاعة الشيطان، ومن هنا يفهم حرص القرآن الكريم والحديث الشريف على بيان أهمية الذكر ومكانة الذاكرين (9).

---

1 – المقاييس / قسا

2 – أوالمنافقين حسب الخلاف في سبب نزول الآية، انظر أسباب النزول ص:227 ومعاني القران– الزجاج 5/ 125 وتفسير الخازن 4/7/–34

3 – ابن تيمية –كتاب الايمان –ص: 50

4 – عن الحسن رضي الله عنه: «أما والله لقد استبطأهم وهم يقرأون من القرآن أقل مما تقرأون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر منكم من الفسق «الكشاف 64/4. وقال الرازي في تفسير الآية : «وكأنه إشارة إلى أن عدم الخشوع في أول الأمر يفضي إلى الفسق في آخر الأمر» مفاتيح الغيب 230/29/15.

5 – الخازن 34/7/4

6 – المحرر الوجيز –ابن عطية 264/5.

7 – كما هو الحال في آية الحديد حيث قال ابن مسعود: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين و«عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن الله استبطأ قلوب المومنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن» وعن الحسين رضي الله عنه : أما والله لقد استبطأهم وهم يقرأون من القرآن أقل مما يقرأون فانظروا في طول ما قرأتم منه وما طهر فيكم من الفسق، وعن أبي بكر رضي الله عنه أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر إليهم فقال : هكذا كنا حتى قست القلوب. الكشاف 4–64/.

8 – قال الراغب : «... قيل الذكر ذكران : ذكر بالقلب وذكر باللسان وكل واحد منهما ضربان: ذكر عن نسيان وذكر لا عن نسيان بل عن إدامة الحفظ» المفردات /ذكر

9 – جمع الإمام الغزالي كما كبيرا من النصوص الخاصة بأهمية الذكر– ن كتاب الأذكار والدعوات من كتاب الإحياء – 1/390 إلى 402

مواقف وأحوال

حين يبكي العالمُ الحاكمَ

شيخ الجماعة بفاس سيدي عبد الرحمن بن القرشي الفيلالي يبكي السلطان مولاي يوسف العلوي

سيدي عبد الرحمن بن القرشي الفيلالي الإمام بفاس عالم عامل، وفقيه فاضل، توفي في شهر الله المحرم عام ثمانية وخمسين وثلاثمائة وألف، آخر من لقب بشيخ الجماعة بفاس، كان شيخنا سيدي عبد الرحمن اربيحة رحمه الله كثيرا ما يردد بين أيدينا في حلقة الدرس بجامع القرويين: لما خرج ابن القرشي.. غرق كل شيء، ويشرح ذلك فيقول: إن الناس أصابهم القحط ونزل بهم الجفاف، وخرجوا يستسقون فلم يسقوا، ثم عاودوا الكرة فلم يسقوا، فذهبوا إليه رحمه الله وهو رجل كبير مريض ورغبوا إليه في الخروج معهم، وهم يعلمون أنه أصلحهم وأورعهم وأتقاهم لله وأزكاهم عند الله، ومازالوا به حتى وافق، فلما خرج واستسقى ما استطاع الناس أن يكملوا صلاتهم من شدة الأمطار.

ومما سمعته مرارا من الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي حفظه الله مما سمعه من بعض شيوخه أن رجلا دخل جامع القرويين مرة فجاء إلى حلقة الشيخ فوقف ينظر إليه ويحدق فيه وهو يلقي درسا من دروسه على طلبته، وظل ينظر إلى الشيخ فلما أطال النظر والوقوف انزعج منه الشيخ قليلا، وسأله مستنكرا: مالك تنظر إلي؟ فأجابه الرجل على الفور: إن لم ننظر –سيدي– في وجوه العلماء ففيمن ننظر؟ فرد عليه الشيخ وقد اهتز من مكانه: «دوك دوك دوك..» أي أولئك أولئك أولئك، وهو يشير إلى غيره من العلماء الآخرين، فلم ير رحمه الله لنفسه أنه من العلماء.

ويحكي أحد تلامذته قال: تولى رحمه الله قضاء جامع الرصيف بفاس في عهد مولاي عبد العزيز، وكان على فاس خليفة للسلطان عمه مولاي عرفة، وكان القاضي لا يقبل من الخليفة السلطاني، شفاعة لديه في بعض القضايا الشرعية وربما أغلظ القاضي القول في مكتوب إلى الخليفة، مثل لا أسمع لك قولا ولا أرفع لك رأسا في الشؤون القضائية، الأمر الذي أدى بالحاجب أبا أحمد بن موسى أن يعمل على نقله (القاضي) من فاس إلى مراكش لا كقاض ولكن كمحدث دارس للعلم، ويبدو أن ترحيله من فاس كان من وحي الخليفة السلطاني الذي قد يكون تذرع بخوف هيجان الأهالي الذين كانوا يرون فيه القاضي العدل الذي يستعدونه في قضاياهم،

وقد تعجب سكان حي دار بوعلي، من القاضي غداة رحيله حيث عمد إلى رهن مرشته عند بقال حيه المدعو بنيس في ثمن الصابون البلدي لغسل ثياب العائلة.

وقد سار على هذا المسلك الصلب رحمه الله عندما تولى وزارة العدل أيام السلطان مولاي يوسف ابن الحسن الأول، فعندما بدأ الإفرنسيون يدقون المسمار في نعش حمايتهم بالمغرب باستصدار الظهير البربري (16 ماي 1930) امتنع أن يزكي الظهير بإصدار المرسوم الوزاري بتطبيق الظهير حسب البروتوكول المعهود في مثل الحالة، وقد كان يحكي رحمه الله، أنه راودته الإقامة العامة بكل أساليب الضغط أدى به إلى حوار خشن مع الكاتب العام للإقامة في مكتبه (الوزير) قائلا له أن الذي بيدي هو القلم فقط أما الإقامة العامة فبيدها القوة العسكرية، إن شاءت تطبيق الظهير فلتطبقه بالقوة، أما أنا فلا أغير الشريعة الإسلامية بالأعراف ولو طبقت السماء على الأرض.

ولما صدر الظهير البربري سافر من فاس إلى الرباط للمثول أمام السلطان مولاي يوسف عام 1930 وذكره بأن هذا الملك لم يصل إلى جلالته إلا بمحافظة أسلافه على الشريعة الإسلامية، الأمر الذي تأثر به مولاي يوسف أيما تأثر حتى بكى»

دعوة الحق العددان: 188–189

د. امحمد العمراوي

من علماء القرويين

amraui1391@gmail.com

فضائل دقائق الأسحار

ذ. محمد بن شنوف

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : (كَانَ الرَّجُلُ فِى حَيَاةِ النبي ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى النبي ﷺ. فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِىِّ ﷺ قَالَ وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا عَزَبًا، وَكُنْتُ أَنَامُ فِى الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَرَأَيْتُ فِى النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِى فَذَهَبَا بِى إِلَى النَّارِ، فَإِذَا هِىَ مَطْوِيَّةٌ كَطَىِّ الْبِئْرِ، وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَىِ الْبِئْرِ، وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ – قَالَ – فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِى لَنْ تُرَعْ. فَقَصَصتهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقصتهَا حَفْصَةُ عَلَى النبي ﷺ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ». قَالَ سَالِمٌ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً .(متفق عليه).

انطلاقا من هذا الحديث الشريف الذي رواه الشيخان، تعال - أيها القارئ الكريم - نقف مع هذه اللحظات الثمينات، ومع تلك الدقائق الغاليات، لنتلمس ونتحسس فضائل أهلها الذين هم صفوة الناس حقًا. أولئك أصحاب الفجر، وأهل صلاة الفجر، أولئك الذين ما إن سمعوا النداء يدوي، «الله أكبر، الله أكبر، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الصلاة خير من النوم»، حتى هبّوا وفزعوا وإن طاب المنام، وتركوا الفرش وإن كانت وثيرة، ملبين النداء. فخرج الواحد منهم إلى بيت من بيوت الله تعالى وهو يقول :(اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، واجعل من فوقي نورا) فما ظنكم بمن خرج لله في ذلك الوقت، لم تخرجه دنيا يصيبها، ولا أموال يقترفها، أليس الملبي للنداء هو أقرب إلى الإجابة وأحظى بالقبول؟ أليس حريا به أن يستغفر الله فيغفر له؟ أليس جديرا به أن يتوب فيقبل الله توبته؟ أليس له وعد من الله إن سأله ليعطينه مسألته، وإن تاب ليتوبن عليه، وإن استغفر ربه ليغفرن له؟ أليس أهلا ليكتب من المتقين المحسنين الذين أثنى عليهم ربنا في كتابه العزيز فقال عز وجل : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات :15/17)

إن أهل الفجر لهم ثناء جميل، لا أقول سطرته وسائل الإعلام باختلاف أشكالها، ولا أقول نظمته قوافي الشعراء في موازين أبياتها، ولا صدحت به حناجر المداحين في وصف محبوبها، فهم ليسوا بحاجة إلى أن ينشر لهم عمل، ولكنه ثناء أعظم وأجل، ثناء مسطور في رق منشور، ثناء تكلم به الرحمن جل جلاله، وحسبك بثناء من عند الله تعالى، ﴿ومن أحسن من الله حديثا ؟﴾، ﴿ومن أصدق من الله قيلا؟﴾ طبعا لا أحد؛ لأنه ثناء من مدحه زين وذمه شين، فبشراكم ذلك الثناء يا أهل الفجر، ألم يقل ربنا عز وجل لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا﴾ (الكهف) وقال سبحانه: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾ (الاسراء) وقرآن الفجر: صلاة الفجر. وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وتجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر»، وفي الصحيحين عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون». فسبحان من جعل لعباده :﴿معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ الرعد 11:

وإن أهل الفجر كانت صلاتهم لهم ستارًا من النار، وسبيلاً إلى جنات النعيم؛ ففي صحيح مسلم من حديث عمار بن رؤيبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لن يلج النار أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» رواه مسلم.

وأهل الفجر تضاعف لهم أجورهم بأن يكونوا كمن قام الليل كله، ففي صحيح مسلم من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله» رواه الترمذي .

أهل الفجر في ذمة الله تعالى وجواره، كل يوم وليلة، فما ظنكم بمن كان في جوار الله تعالى، وأنتم ترون الناس يطمئنون ويأمنون أشد الأمن حين يكون أحدهم في جوار عظيم من عظماء الدنيا، فلمن كان في جوار الله لهو أشد أمانًا واطمئنانًا.

ففي صحيح مسلم من حديث جُنْدَب بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من صلى الصبح فهو في ذمة الله، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء؛ فإنه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم» رواه مسلم .

وإن أهل الفجر لما لم تمنعهم ظلمة الليل من أن يمشوا فيها إلى بيوت الله تعالى كان من جزائهم أن يسيروا في نور تام يوم القيامة، فعند أبي داود والترمذي من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي قال: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة».

فكيف يكون حالنا مع الله إذا اختلت الموازين؛ وإن صلاة الفجر لهي ميزان للإيمان وأمارة من أمارات صدق صاحبها، وإنك لتعجب ممن أظهر أمارات الالتزام وله مع الطيبين ذهاب وإياب، ثم هو مفقود في صلاة الفجر، لا تكاد تراه إلا في فترات متباعدة، فأي التزام هذا، وهو لم يأخذ بصاحبه إلى أن يكون من أهل الفجر؟!.

إن صلاة الفجر لا يشهدها إلا صفوة الناس، لذلك كانت تلك الصلاة أشدّ صلاة على المنافقين كما قال ﷺ : «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا» رواه البخاري.

وبعد هذا وذاك - أحباب رسول الله ﷺ - ماذا يقول ذلك الذي آثر فراشه معرضا عن نداء ربه عز وجل؟! ماذا يقول وقد فوّت على نفسه ذلك الفضل العظيم؟! في حين تراه خلف سقط المتاع يلهث من صبحه إلى مسائه! لا يفرط في دينار ولا درهم من متاعه! ماذا يقول وهو يقيم الوقت الطويل في السهر الضائع، وجلسات اللهو واللعب؟! وإلى تلك الدقائق الغالية من دقائق الأسحار، تقصر الهمم عن الخوف من يوم تشخص فيه الأبصار، فما أحوج الغافل إلى أن يتدارك نفسه بالاستذكار والاعتبار.

بعض ما يستفاد من الحديث :

1 - رغم صغر هذا الصحابي إلا أنه كان يتمنى الخير، ويحترق على ذلك، حتى إنه في إحدى الروايات يقول: لوكان فيك خير (يعني نفسه) لرأيت مثل ما يرى هؤلاء (يعني الصحابة الذين يرون الرؤى ويقصونها على النبي ﷺ)، فحقق الله له أمنيته.

2 – تزكية النبي ﷺ لهذا الصحابي، والثناء عليه مع أنه كان صغيرًا.

3 - هذا الثناء من النبي ﷺ لهذا الصحابي الصغير؛ أثر عليه في حياته بشكل إيجابي، حتى إنه كان لا ينام من الليل إلا قليلا كما يشهد بذلك سالم .

4 - حرص الصحابة -رضي الله عنهم- على الخير، والمسارعة إليه، والتأكيد من هذا الصحابي رضي الله عنه أنه كان غلامًا أي لم يبلغ الحلم، وشابًا أي: غضًا فتيًا نشيطًا، عزبًا أي غير متزوج، وليس عنده ارتباطات عائلية، ومسؤوليات أسرية، لذا فهو ينام في المسجد.

5 - فضل قيام الليل، وأنه من أسباب النجاة من النار.

6 - جواز تمني الرؤيا الصالحة ليعرف صاحبها ما له عند الله.

7- حياء ابن عمر رضي الله عنه من النبي ﷺ، وذلك من أدبه.

-8 استجاب الله دعاء هذا الصحابي مع صغر سنه.

عبرة

عن أبي حفص عمر بن صالح الطرسوسي قال : ذهبت أنا ويحيى الجلاء إلى أبي عبد الله (يعني الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله) فسألته فقلت: بم تلين القلوب؟ فأبصر إلى أصحابه فغمزهم بعينه، ثم أطرق ساعة، ثم رفع رأسه، فقال يا بني! بأكل الحلال.

فمررت أنا إلى أبي نصر بشر بن الحارث الحافي فقلت له : يا أبا نصر! بم تلين القلوب؟ قال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب. قلت : فإني جئت من عند أبي عبد الله. فقال : هيه... إيش قال لك أبو عبد الله : قلت : بأكل الحلال، فقال : جاء بالأصل.

فمررت إلى أبي عبد الوهاب بن أبي الحسن فقلت : يا أبا الحسن، بم تلين القلوب؟ قال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب. قلت : فإني جئت من عند أبي عبد الله، فاحمرت وجنتاه من الفرح، وقال: إيش قال أبو عبد الله؟ قلت: بأكل الحلال، فقال: الأصل كما قال. (الحلية 183/9).

أكل الحلال سبب في لين القلوب واطمئنانها، وهو ما غفل عنه كثير من الناس، وظنوا أن أداء الشعائر التعبدية من صلاة وصوم وحج هو الدين، فاكتفوا بذلك، ولم يتورعوا عن أكل الحرام البين كالربا والرشوة والقمار والنصب والاحتيال..، وقد تجد الرجل يزاحم على الصف الأول في المسجد ومأكله حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، فهيهات أن يشم قلبه ريح الإيمان الزكية، وعبقه الأخاذ !!، إذ الله تعالى طيب لا يَقبل إلا طيبا كما أخبر الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، ولا يُقبل إلا على القلوب الطيبة.

واعلم أيها المبارك أن أكل الحلال نعمة يمن الله عز وجل بها على من أحب من عباده في زمان يتنافس الناس فيه على الحرام ويحتالون له بشتى الحيل، بل منهم من يتحسر إن فاتته فرصة الظفر بالحرام وتمنى لو أنه مثل فلان أو علان الذي اغتنى وراكم الأموال من طرق يعلم هو أنها حرام، ولكن حب العاجلة يعمي القلب فلا يرى إلاّ ها، ولا يحسب حسابا لسواها، فهي عنده منتهى الأمل، وعليها لا على غيرها المعول. ونعوذ بالله من قسوة القلب وعمى البصيرة.

ذ. منير مغراوي

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة
المدير المؤسس: ذ. المفضل فلواتي
المدير المسؤول: د. عبد العلي حجيج
مسؤول الإخراج: رشيد صدقي
الموقع الاكتروني : www.almahajjafes.net
البريد الاكتروني : almahajjafes@gmail.com
عنوان المراسلة : حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب
الهاتف : 0535931113
الناسوخ : 0535944454
الإيداع القانوني : 1994-61
رقم الصحافة : 91/11
الترقيم الدولي : 3627-1113
الطبع : إكوبرانت
التوزيع : سابريس

المواطنة في الأفق السياسي للسيرة النبوية

د. عبد المجيد النجار*

توطئة:

اتّجهت الدراسات في السيرة النبوية قديما وحديثا إلى أن يكون محور بنائها قائما على الغزوات العسكرية، وحتى حينما أضافت بعض الدراسات الحديثة فقه السيرة عنصرا من عناصر الدراسة فإنه بقي عنصرا مندرجا ضمن البناء العامّ القائم على عرض الوقائع العسكرية في السيرة النبوية.

وقد كان لهذا المسلك التأليفي في السيرة النبوية قصور بالغ في استفادة المسلمين منها وهي الزاخرة بالحياة في جميع وجوهها، وهي الوجه العملي الذي يتجلّى فيه تنزيل أحكام الوحي على الواقع، فحُرم إذن المسلمون طيلة عهود من مصدر على غاية من الأهمّية يُنير سبلهم في فهم الدين عموما وفي تنزيله على وقائع الحياة خصوصا.

ولم يكن الفقه السياسي في السيرة النبوية بأكبر حظا في دراسات السيرة من غيره من فروع الفقه بالرغم من أنّ الغزوات العسكرية التي كانت المحور الأساسي الذي انبنت السيرة عليه توحي بأنها وجه من وجوه الممارسة السياسية، إذ هي تهدف من بين ما تهدف إلى تأسيس الدولة وإقامة الحكم على أساس من الدين، فقد كانت تلك الغزوات المعروضة تخلو إلا قليلا من الاستنتاجات المتعلقة بالسياسة الشرعية.

ومن المعلوم أنّ العالم الإسلامي والعربي منه خصوصا يمور اليوم بحراك سياسي واسع، والذين يحملون الفكرة الإسلامية يمثلون أحد العناصر الأساسية فيه، ولكن زادهم في الفقه السياسي الشرعي زاد ضعيف، وهو الأمر الذي يتطلب منهم فيما يتطلب أن يفزعوا إلى السيرة النبوية ليبحثوا في آفاقها الثرية عما يثرى به هذا الفقه فيكون لهم عونا في هذا الحراك السياسي الذي هم طرف فيه، علما بأنّ في السيرة النبوية من فقه التنزيل للأحكام المجردة على الواقع المعقد في الشأن السياسي عونا كبيرا على ترشيد المشاركة السياسية للأطراف التي تنشدها من منطلق الفقه الشرعي.

ومن المفاهيم التي أصبحت محلّ جدل في هذا الحراك السياسي مفهوم المواطنة كأساس من أسس الدولة، وأصبحت الدساتير التي تعدّ لبناء الدولة الجديدة تتطلّب تنصيصا على هذا المفهوم، وإذ ليس في فقه السياسة الشرعية الموروث ذكر لهذا المصطلح فقد اقتضى الأمر البحث في هذا التراث عمّا يمكن أن يؤدّي المعنى حتى وإن لم يذكر اللفظ. ولعلّ من أهمّ المظانّ التي تسعف الباحث في هذا الشأن السيرة النبوية التي وردت فيها الخطوات العملية لتأسيس الدولة في المدينة المنورة على أسس يمكن للباحث فيها من خلال آفاقها السياسية أن يخرج بمفهوم شرعي للمواطنة تقع المشاركة به في الحراك السياسي الذي يجري من أجل بناء الدولة الجديدة، وهو ما تحاول هذه الورقة القيام به في نطاق الاستثمار الأمثل للسيرة النبوية بارتياد آفاقها الواسعة تركيزا على مشهدين من مشاهد السيرة النبوية: مشهد وثيقة المدينة، ومشهد حجّة الوداع.

حلّ الرسول الكريم بالمدينة المنوّرة وهو يخطّط لتأسيس الدولة الإسلامية، وقد شرع في هذا التأسيس بصفة عملية بترتيب العلاقة بين مكوّنات هذه الدولة من الأفراد والفصائل والأديان: مهاجرون وأنصار، وأوس وخزرج، ومسلمون ويهود ...، ثمّ توّج ذلك المسعى العملي بوثيقة نظرية مكتوبة عرفت بوثيقة المدينة التي تعدّ الدستور المؤسّس للدولة الإسلامية.

ومن خلال هذه الوثيقة المؤسسة للدولة الإسلامية الناشئة يتبيّن أنّ هذه الدولة في المفهوم الإسلامي تقف على مسافة واحدة من جميع الأفراد الذين ينضوون تحتها، تمنحهم نفس الحقوق، وتطالبهم بنفس الواجبات، ولا تميّز بينهم في ذلك بحسب العوارض الذاتية من لون أو دين أو عرق، وذلك ما ينطبق أيضا على المجموعات المتمايزة بحسب القرابة أو المهنة أو السكن أو غير ذلك، فهي متساوية بمقتضى المواطنة في الحقوق والواجبات فيما يتعلّق بانتمائها إلى الدولة.

لقد جاءت هذه الوثيقة تؤصّل للمواطنة في علاقة الأفراد والفئات بالدولة، حيث جمعت المتفرّق بحسب الانتماء القبلي، والانتماء الجهوي، والانتماء الديني على صعيد واحد بالنسبة للدولة، فالأوس والخزرج، والأنصار والمهاجرون، والمسلمون واليهود كلّهم أعضاء في الدولة على صعيد واحد، يتساوون في المواطنة استيفاء للحقوق وأداء للواجبات، ولا يفضل في ذلك بعضهم بعضا. وتتمثّل تلك المساواة في المواطنة في مظاهر عديدة ماديّة ومعنوية.

فمساواة في الانتساب إلى الأمّة والانضواء تحت رايتها لا يتفاوت في ذلك فريق يدّعي شرف الانتساب إليها ويخرج غيره من ذلك، وهو ما جاء في الوثيقة:«وأنّ يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين ... وأنّ ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ...» .

ومساواة في التحاكم إلى القانون الموحّد، فقد جاء في وثيقة المدينة: «وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ وإلى محمد ﷺ»، فمرجعية التحاكم هي نفسها لكل الفرقاء ممثّلة في قانون الشريعة منزّلا من عند الله تعالى، ومفسّرا من قبل النبي الكريم ﷺ.

ومساواة في التمتّع بالحقوق وعلى رأسها حقّ حرية التديّن معتقدا وممارسة، لا يُكره أحد على ذلك، ولا يُمنع في شأنه الخاصّ بل في شأن أحكامه الأسرية والفئوية التي لا تتعارض مع الشأن العامّ للمجتمع أن يتدبّر أمره بحسب خصوصية دينه، وهو ما نصّه في الوثيقة: «لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم».

ومساواة في أداء الواجبات مالية كانت أو دفاعية، فالكلّ مطالب بذلك على سبيل التكافؤ، وهو ما جاء في الوثيقة منصوصا عليه في خصوص واجب الدفاع بالقول: «إنّ بينهم النصر على من داهم يثرب»، وفي خصوص واجب الإنفاق بالقول: «وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين».

ومساواة في الالتزامات الخارجية إزاء الآخرين من خارج الدولة، فإذا ما أبرمت الدولة التزاما مع آخرين فالواجب على الجميع احترام ذلك الالتزام والوفاء به، وهو ما جاء في الوثيقة: «وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن»، وما جاء فيها أيضا: «لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو يؤويه».

إنّ هذا التساوي الذي تقتضيه المواطنة يبقى هو المبدأ الأعلى الذي يحكم العلاقة بين الدولة وبين مواطنيها، غير أنّه يمكن التصرّف فيه من حيث الشكل مع بقاء المقصد قائما، كأن يتنوّع الواجب المطلوب من الأفراد والفئات إزاء الدولة من أجل حمايتها على سبيل المثال بين الانخراط المباشر في الأعمال العسكرية وبين الاستعاضة عن ذلك بدفع مقابل مالي سُمّي في مرحلة من مراحل التاريخ بالجزية التي تُضرب على المستعفي من العمل العسكري، فإذا ما انخرط فيه رُفعت تلك الضريبة عنه.

---

* الأمين العام المساعد
للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

إشراقة

التسامح مع المدعوين

«عن جابر رضي الله عنه غزا مع النبي ﷺ قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معهم، فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاء، فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلق بها سيفه، ونمنا نومه فإذا رسول الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال : «إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا، قال : من يمنعك مني؟ قلت : الله ثلاثا» ولم يعاقبه وجلس». (متفق عليه). وفي رواية : قال جابر : كنا مع رسول الله ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله ﷺ فجاء رجل من المشركين، وسيف رسول الله ﷺ معلق بالشجرة، فاخترطه فقال : تخافني؟ قال : «لا» قال : فمن يمنعك مني؟ قال : «الله» وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه قال : من يمنعك مني؟ قال : «الله» قال « فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله ﷺ السيف فقال : «من يمنعك مني؟» فقال : كن خير آخذ، فقال : «تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟» قال : لا، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فأتي أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس. وقوله : «قفل» أي رجع. و«العضاه» الشجر الذي له شوك. و«السمرة» بفتح السين وضم الميم : الشجرة من الطلع، وهي العظام من شجر العضاه، و«اخترط السيف» أي : سله، وهو في يده «صلتا» أي : مسلولا، وهو بفتح الصاد وضمها.

إن الإسلام العظيم لم يضق نبيه الكريم ذرعا بالمخالفين، وإن رفض الأعرابي لدعوة رسول الله ﷺ لم يحُل دون مسامحته والعفو عنه، بل وإطلاق سراحه.

ولم يعاقبه النبي ﷺ بخطئه ليقينه على لطف المعاملة. وحسن التسامح مع المغلوبين والخاطئين النادمين من أهم أساليب الدعوة للتعريف بخيرية الإسلام، وقد قال الأعرابي لقومه بعد رجوعه لقد جئتكم من عند خير الناس.

ولم يعاقبه على كفر ليقينه على أن عذاب الله في الآخرة أشد وأبقى وأنه لا يجوز إجبار أحد على ترك دينه، وأن سنة الله تقتضي اختلاف الناس في أديانهم، وبالتالي تبقى أمامه فرصة لاعتناق الخير.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى معلقا على تصرف هؤلاء الأعراب مع رسول الله ﷺ : «إن الرسول الحليم لم تأخذه الدهشة لكنود الأعرابى أول الأمر، وعرف فيه طبيعة صنف من الناس مرد على الجفوة فى التعبير والإسراع بالشر، وأمثال هؤلاء لو عوجلوا بالعقوبة لقضت عليهم، ولما كانت ظلما. لكن المصلحين العظماء لا ينتهون بمصاير العامة إلى هذا الختام الأليم، إنهم يفيضون من أناتهم على ذوى النزق حتى يلجئوهم إلى الخير إلجاء، ويطلقوا ألسنتهم تلهج بالثناء» (خلق المسلم ص 131).

هذا هو اليقين يملأ نفوس المصلحين من العلماء العاملين بروح التفاؤل بنصر الله على المخالفين وأن دعوتنا ستشرق شمسها على رؤوس العالمين تبدد ظلام المبطلين. وإن يقين أبناء الصحوة بنصر الله لا يقل عن يقينهم برزق الله، فلهذا أورد المصنف رحمه الله حديث سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» (رواه الترمذي وقال حديث حسن)، معناه تذهب أول النهار خماصا : أي ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانا : أي ممتلئة البطون.

ذ. عبد الحميد صدوق

الإسلام وسطية واعتدال ـ لو كان له رجال

د. الوزاني برداعي

الخطبة الأولى:

عباد الله:

الإسلام منهج متكامل، تشريع شامل، يعم كل مجالات الحياة، فهو إيمان وعمل، عقيدة وشريعة، عبادة ومعاملة، عاطفة وعقل وتفكير، أخلاق وبناء وتعمير.

دينكم الإسلام كامل لا يحتاج إلى زيادة، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (المائدة: 3)

من هذا المنطلق وجب على المسلمين أن يَرْضَوا بهذا الدّين الّذي رضِيَه الله لهم، ولا يحل لأحد أن يبدل أو أن يترك الدين الذي اختاره الله له.

ديننا الإسلامي الحنيف يتميز مصدرُه بالربانية، دين عام لجميع البشرية، دين شامل لجميع أمور الحياة الدنيوية والأخروية،

دين وسط بين الإفراط والتفريط وبين الغلو والجفاء.

يقول الله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾. (البقرة 143).

لم تتطاول أمة الإسلام إلى ما فوق مكانتها، ولم تدَّع لنفسها رتبة غير رتبتها، ولم تخرج عن قدَرها لتقول عن نفسها كما قالت اليهود والنصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، (المائدة 118)، بل أخذت بالوصف الوسط الذي اختاره الله لها، وجعلته سمة من أبرز سماتها.

وسطية أمة الإسلام تظهر جلية في آيات القرآن التي تنهى عن الإفراط والتفريط.

إن مبدأ الوسطية يشغل حيزاً كبيراً في آيات الكتاب الكريم، بلغ الاهتمام به أن أخذ مكاناً بارزاً في فاتحة الكتاب، التي يتلوها كل مؤمن في اليوم الواحد مرات ومرات، عندما نقرأ قول الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، (الفاتحة : 6 –7)، نفهم من الآية أن الله سبحانه وصف الصراط المستقيم بأنه غيرُ صراط المغضوب عليهم، وهم أهل الجفاء في الدين، وغيرُ صراط الضالين، وهم أهل الرهبانية الغالون.

لقد دعا الاسلام إلى الوسطية في كل شيء: في الاعتقاد والتعبد، في السلوك والأخلاق والتشريع،

روى الإمام أحمد والدارمي وابن حبان رحمهم الله عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : «خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا ثُمَّ قَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ. ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام : 153)، ومعلوم أن الحديث يدل دلالة واضحة على معنى الوسطية والخيرية، التي بين طرفي التفريط والإفراط.

إن مما تميز به خير القرون، رضوان الله عليهم، تطبيقَ ما تعلموه، فقد كانوا يُقبلون على كتاب الله بقصد العمل، فيتعلمون من أجل أن يطبقوا ما تعلموه، فالعلم بلا عمل لا منفعة فيه، وقد كان الإمام مالك رحمه الله يكره العلم الذي ليس بعده عمل.

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت... فكيف هو حالنا اليوم؟

إن وضع المسلمين اليوم لم يعد قادراً على أن يكون فاعلاً أو مؤثراً في حركة التاريخ، بل نكاد نجزم أنه أصبح في جل حالاته ساحة تجارب لهذا المعسكر أو ذاك... أصبح جسد الأمة مُشوّها من كثرة الجروح وعمقها وتنوعها،

فهذا الجرح الفلسطيني... وذاك الجرح العراقي، وبجانبه الجرح السوري، وهناك الجرح اليمني، ويليه الجرح الليبي دون نسيان الجرح السوداني و... وأغربها الجرح المصري.

لقد ديست الكرامة ودمرت الشهامة، نسفت المعالم، هدمت المساجد، نهبت الموارد، انتهكت الحرمات... قُتّل وذبِّح وشرِّد الأطفال والشيوخ والنساء...

فهل أدركت الأمة أن للعودة إلى الله باباً، وأن للتمكين في الأرض أسباباً...؟

تتوالى المحاولات، وتتعدد من أجل تشويه هذا الدين المخططات، يحصل هذا من المنتسبين لهذا الدين ومن غير المنتسبين،

إن الجهل بهذا الدين أوجد العديد من المسلمين بالاسم، مسلمون بالولادة، فرطوا في دينهم وتنكروا لأمتهم، وجعلوا من القيم الغربية قدوتهم ومن نظمها شريعتهم.

والأدهى من ذلك أن تجد من المنتسبين للإسلام من يسعى إلى تأصيل ضعفه وتنكره لدينه بالدعوة إلى مراجعة أصوله ومناقشة ثوابته.

إن الجهل بهذا الدين دفع بصنف آخر من أبناء المسلمين إلى الإفراط في التدين لإثبات الذات، وإظهار نوع من التميز ليكونوا محط أنظار الآخرين. وما أدركوا أنهم أساؤوا إلى الدين بقصد أو بغير قصد... إن كنت لا تدري فتلك مصيبة.

يقول الإمام الشاطبي رحمه الله : "وصف الله سبحانه وتعالى الدين بأنه يسر، ثم إنه سبحانه ما جعل علينا فيه من حرج، وأنه سبحانه يريد أن يخفف عنا، كل هذا يدل على أن الغلو في الدين غيرُ مطلوب، بل ليس هو من الدين، وأن التوسط هو سمة الدين ومنهاجه، والوسطية بين طرفين: تشدد وتساهل"، (الموافقات : 4 / 148).

إن وضع المسلمين اليوم لم يعد قادراً على أن يكون فاعلاً أو مؤثراً في حركة التاريخ، بل نكاد نجزم أنه أصبح في جل حالاته ساحة تجارب لهذا المعسكر أو ذاك... أصبح جسد الأمة مشوّها من كثرة الجروح وعمقها وتنوعها

دينكم أيها المسلمون، دين الحق والعدل، دين الأخلاق الفاضلة، والقيم الرفيعة، والأخوة والمحبة.

هذا الدين العظيم حاولوا تشويهه إعلاميا، وتثقيفيا، وتربويا، شوهه أعداؤه كما ساهم في تشويهه أبناؤه، نعتوه بدين القتل والتطرف، والإرهاب والعنف، جعلوا منه دين الجهل والضعف، وكلما حدثت حادثة في منطقة من مناطق العالم توجهت أصابع الاتهام للإسلام، وكل عملية تخريب أو تدمير، أو اعتداء مُنفذها "مسلم" حتى يثبت العكس، وعندما يثبت العكس يبقى الاتهام على حاله.

فما هو واجبك أيها المسلم نحو دينك، وهل تحمل جزءا من هم إسلامك؟

الخطبة الثانية:

عباد الله: الدين هو الطريقةُ والمنهاج الذي يجب أن تسير عليه وبه حياة العبد علما وفكرا وعملا،

اعلموا – يا رعاكم الله – أن الإسلام ليس مجردَ شعائر تعبدية، لكنه دين شامل يعم كل مناحي الحياة، وفى طياته حل لكل المشكلات،

يضع الاسلام قواعد نظامه الاجتماعي الذي يحقق إقامة الأسر والبيوت، على أساس متين من الترابط والحب والتعاون، ويقدم الحلول الجذرية للمشكلات الاجتماعية.

وللإسلام نظامه السياسي الذي يضمن سلامة المجتمع ويحفظ كرامته، ويحقق حريات وحقوق الأفراد.

وللإسلام قواعد نظامه الاقتصادي التي تمنع الغش والاحتكار والاستغلال، ويعمل على تنمية الموارد وتنظيم الاستفادة المثلى منها، ويضمن الكفاية والعيش الكريم لكل من يعيش تحت لوائه.

وللإسلام نظامه الأمني والقضائي الذي يضمن حقوق الناس وأمن المجتمعات في عدالة مطلقة لا تميز بين الغني والفقير ولا بين الشريف والضيع.

ويتميز دين الاسلام بنظام أخلاقي يعتمد تربية الوازع الداخلي في النفس، ويجعل المراقبة الإلهية أساسا ومنطلقا للأخلاق، حتى إن المخطئ ليذهب بنفسه إلى القاضي ويصر على تطهير نفسه من الخطأ الذي وقع فيه.

فيا من تحمل هم الدين، اعلم أن الإسلام علم وعمل، وسطية واعتدال، يا من سمعت قول ربك جل في علاه: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾، اعلم أن العبادة عقيدة وشعائر وقيم ومعاملات، اعلم أن العبادة تدور مع الإنسان في كل مواقعه، وفي كل أحواله وكل أوقاته، لقد أمرك الاسلام أن تسهم في إقامة الدين، وأن تدور مع الاسلام حيث دار.

بعد تطبيق القواسم المشتركة التي تتمثل في تحقيق الإخلاص والإيمان، وإقامة الشعائر التعبدية بكل إتقان،

يخاطب الاسلام أولي الأمر، أنتم الاقوياء: ليكن همكم الأول إحقاقَ الحق، وإبطالَ الباطل، وإنصافَ الضعيف، ونصرة المظلوم.

ويخاطب الاسلام الأغنياء: اجعلوا معشر الأغنياء همكم الأول إنفاقَ المال في وجوه الخير.

ويحدد الدين للعلماء همهم الأساس في قوله تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾، (الأحزاب).

ويخاطب الاسلام المرأة ليحدد لها همها الأول في حسن رعاية الزوج، وتربية الأولاد مساهمة منها في بناء المجتمع.

ثم إن من العباد من جعل الإسلام همهم الأول الدفاعَ عن الأوطان أو التعمير والبنيان، أو استصلاح الأراضي، وإقامة السدود، أو استخراج الثروات، وتطوير الصناعات...

رغم ما يصيب النفس من آلام وما يَحُل بها من حزن واكتئاب، إلا أن المسلم يحسن الظن بالله ويرجِّح كفَّة التفاؤل، ذلك أن التفاؤل يُولّد الأمل والأمل يولد العمل.

فاتقوا الله عباد الله في السر والعلن، واجتنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، واعلموا أن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل، فأعدوا لغدكم ما ترجون أن تنالوا من ربكم، واعلموا أن ربكم يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة 7 – 8).

لقد أوصانا الإسلام أن نصل من قطعنا، ونعفو عن من ظلمنا، ونسلمَ على من هجرنا.

أكرموا الفقراء والمساكين، ووسعوا على أبنائكم وأهليكم، وليكن ذلك من غير تبذير ولا إسراف ولا تقتير ولا إسفاف.

لا تنسوا إخوانكم المنكوبين والمقهورين أطفالاً ونساء وشيوخا، أُدعوا لإخوانكم الذين يقتلون ظلماً، أُدعوا للمجاهدين في سبيل الله،

نسأل الله أن يزيل المحنة، وأن ينفس الكربة، وأن يرفع البأس، وأن يذهب الشدة، إنه على كل شيء قدير. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العلمين.

---

* خطيب مسجد الفتح بمنفلوري 1 بفاس

د. زكرياء المرابط

نظرة مقاصدية في مباحث الأسرة (3/3)

مقومات الحياة الزوجية

وإن من مقومات الحياة الزوجية السعيدة:

أولا: صدق المشاعر:

فعليه يقوم صرح الأسرة المسلمة، وهو الطاقة الروحية المغذية للسكينة والمودة والرحمة بين الزوجين أولا، وبين الأصول والفروع ثانيا، وبين قرابة النسب ثالثا، وبين الأصهار رابعا.

فالحياة الزوجية حسب الدكتور الطيب: «تكون خصبة وممتعة وسعيدة ومنتجة ومؤثرة فيما حولها بقدر ما يتوافر فيها من صدق وطهارة مشاعر المحبة بين الزوجين. وتكون جافة ومتعبة وسلبية بقدر ما يضعف فيها صدق وطهارة مشاعر المحبة بينهما. تلك هي قاعدة الزواج المركزية التي ينبغي الحرص عليها كثيرا أثناء التحضير للزواج وخلال الحياة الزوجية»

وهذه المشاعر لا بد من إظهارها للطرف الآخر. ولا بد من التعبير عنها بشتى الوسائل المتاحة والممكنة، وعدم الاستهانة بها. ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ (الأحزاب 21).

فقد كان ﷺ يشرب من الإناء الذي تشرب منه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. بل إنه كان يتتبع موضع فيها.

ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت، كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في فيشرب، الحديث.

وهذا سلوك من شأنه أن يقوي أواصر المحبة بين الزوجين المتحابين ويديمها، ويزرع فيها الثقة والاحترام.

كما كان ﷺ يقبل زوجاته وهو صائم. أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كان رسول الله ﷺ ليقبل بعض أزواجه وهو صائم، ثم ضحكت.

ويصحب ﷺ زوجاته معه في رحلاته وأسفاره . فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج أقرع بين نسائه. الحديث.

وكان ﷺ يحرص على إدخال السرور على نسائه كما في قصة تركه لعائشة تتفرج على لعب الحبشة.

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا الذي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو.

ومسابقته ﷺ لها.

عن عائشة قالت : سابقني النبي ﷺ فسبقته، فلبثنا حتى إذا رهقني اللحم سابقني فسبقني فقال : هذه بتلك.

وغيرها من المواقف التي لا تحصى.

وحري بنا أن نستن بسنته ﷺ في إنماء هذه المشاعر وإذكائها حتى إذا نشأ الأبناء في بيئة تسودها هذه المشاعر. «سينشأون بمشاعر صادقة وطاهرة نحو والديهم ومحيطهم الأسري والاجتماعي الواسع، وإذا قدر لهم أن يتزوجوا مستقبلا فإن المودة والرحمة والسكينة ستعمر حياتهم، وستنالنا بركات دعواتهم وأعمالهم الصالحة في الحياة وبعد الممات. قال ﷺ: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له.

ثانيا: الاتصاف بالسماحة في المعاملة:

وهو سر من أسرار نجاح الحياة الزوجية قال تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن﴾ (فصلت 34).

فلا بد من الدفع بالتي هي أحسن حفاظا على المشاعر المذكورة سلفا، ولا بد من الصفح والعفو والتسامح والإيثار والتعاون «فالسماحة في المعاملة الزوجية خاصة، ومع الخلق عامة، قمة عالية من قمم التزكية النفسية، ومستوى متقدم من مستويات النضج الفكري والعاطفي والروحي، ومقياس أساسي من مقاييس الرقي السلوكي لدى الإنسان فينبغي لكل أحد أن يسعى جهده لتوطين نفسه عليه، لأنه ... كالغيث أينما وقع نفع... وستضاعف حسناته أضعافا مضاعفة كما مر في آية الدفع بالإحسان

وقد جسد النبي ﷺ هذا الخلق الكريم في مواقف كثيرة، أذكر منها:

1 – صفحه عن إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في أمر القصعة مراعاة لحال الغضب التي كانت عليها:

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ. كان عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصعة فيها طعام، فضربت بيدها فكسرت القصعة، فضمها وجعل فيها الطعام، وقال «كلوا». وحبس الرسول والقصعة حتى فرغوا، فدفع القصعة الصحيحة وحبس المكسورة

2 – تركه للجاريتين تغنيان لعائشة رضي الله عنها دون أن يوقفهما:

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه. فدخل أبو بكر فانتهرني... فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : دعهما. الحديث

3 – وكان ﷺ في خدمة أهله :

أخرج البخاري عن الأسود بن يزيد قال : سألت عائشة رضي الله عنها. ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت؟ قالت : كان في مهنة أهله، فإذا سمع الأذان خرج.

4 – وكانت أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن يراجعنه فلا ينكر ذلك.

ثالثا: تمتين آصرة النسب والقرابة :

إن النسل المعتبر شرعا هو النسل الناشئ عن اتصال الزوجين بواسطة عقدة النكاح السابقة الذكر.

والنسل عندما تصدق نسبته إلى أصله يكون بارا بالأصل، والأصل يكون رحيما بنسله. هذه فطرة الله التي فطرة الناس عليها.

وألحقت آصرة الرضاع بآصرة النسب فأنزلت المرضع منزلة الأم، وأنزل الرضيع منزلة الأخ، قال تعالى : ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم، وأخواتكم من الرضاعة﴾ (النساء 23).

وقال ﷺ : «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»

ولقداسة هذه الآصرة –آصرة النسب والقرابة – حرمت الأصول على الفروع والفروع على الأصول محافظة على مقتضياتها.

قال الفخر الرازي في حكمة تحريم الزواج من المحرمات بالنسب : «وذكر العلماء أن السبب لهذا التحريم : أن الوطء إذلال وإهانة».

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور «واعلم أن شريعة الإسلام قد نوهت ببيان القرابة القريبة فغرست لها في النفوس وقارا ينزه عن شوائب الاستعمال في اللهو والرفث، إذ الزواج وإن كان غرضا صالحا باعتبار غايته، إلا أنه لا يفارق الخاطر الأول الباعث عليه وهو خاطر اللهو والتلذذ.

فوقار الولادة أصلا وفرعا مانع من محاولة اللهو بالوالدة أو المولودة ولذلك اتفقت الشرائع على تحريمه ثم تلاحق ذلك في بنات الإخوة وبنات الأخوات. فمرجع تحريم هؤلاء المحرمات إلى قاعدة المروءة التابعة لكلية حفظ العرض»

ولما كان معظم القصد من النكاح

> **أن الأسرة بحاجة إلى فقه سنني عميق يساعدها على بناء داخلي متين أولا، ويعينها على تحقيق الإشعاع الاجتماعي ثانيا. ويقيها من الهزات والانتكاسات التي تؤثر سلبا في أصالتها وفاعليتها، وجهدها البنائي على المستويين الذاتي والاجتماعي ثالثا.**

الاستمتاع، كانت مخالطة الزوجين طبيعية، وذلك مناقض لما تقتضيه القرابة من الوقار لأحد الجانبين والاحتشام لكليهما، وذلك ظاهر في أصول الشخص وفروعه، وفي صنوان أصوله من عمة وخالة.

وأما محرمات المصاهرة فبعضها ألحق بالنسب مثل أم الزوجة... وبعضها لدفع ما يعرض من شقاق يفضي إلى قطع الرحم بين من قصدت الشريعة قوة الصلة فيه. ولهذا لا يجمع الزوج بين الأختين والمرأة وعمتها أو خالتها.

وأما المحرمات من الرضاع فلأن آصرة الرضاع تنزل منزلة النسب.

وهكذا حافظت الشريعة على حقوق النسل حتى لا تتعرض للإضاعة والفساد. ومن متممات تقوية آصرة القرابة أحكام النفقة على الأبناء والآباء. وعلى الأجداد والأحفاد. وجعل القرابة سببا من أسباب الميراث. والأمر ببر الوالدين، وصلة الأقارب وذوي الأرحام ....

وللمحافظة على هذه الآصرة أيضا منع الاستنساخ، وقد أجمعت الأديان والأعراف على منعه في النوع البشري، لكونه من أخطر المستجدات العلمية، وأسوء المنتجات الحضارية التي قد تؤدي إلى حدوث فساد عظيم في النظام الكوني عموما، وفي مؤسسة الأسرة خصوصا.

فهو حسب أحد الباحثين المعاصرين في حقل الاجتهاد المقاصدي المعاصر: مميت للمؤسسة الزوجية، وقاتل للمجتمع الإنساني لإحداثه لأسلوب غريب في عملية التناسل والإنجاب. ولمعارضته الصريحة لمعاني المودة والسكن، والرحمة، والتآلف، والإعمار والتنمية. وغير ذلك من المعاني والقيم التي تتربى لدى الناشئة بموجب البناء الأسري والتماسك الاجتماعي...

وهو موقع في إبادة مقصد حفظ النسب والعرض، ومفض إلى الفوضى الأسرية ... ومضيع لقيمة الأمومة والبنوة والزوجية وسائر القرابة الدموية والعلاقة الصهرية...

ففي الاستنساخ تضيع حقوق وواجبات. وآثار، وتضييع لشخصية الإنسان ولعواطفه ولخصائص كيانه...

رابعا: الحرص على تقوية آصرة الصهر أو المصاهرة:

وهذه الآصرة ناشئة عن آصرتي النسب والنكاح قال تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا..﴾ (الفرقان 54).

وقد حرم منها ما حرم تحقيقا للحشمة والوقار والائتلاف

خاتمة :

وفي الأخير أستأذن الدكتور الطيب برغوث لأستعير منه مقالته البليغة الهادفة إلى الحفاظ على الأسس والمرتكزات التي تقوم عليها مؤسسة الأسرة والتي جاء فيها: أن الأسرة بحاجة إلى فقه سنني عميق يساعدها على بناء داخلي متين أولا، ويعينها على تحقيق الإشعاع الاجتماعي ثانيا. ويقيها من الهزات والانتكاسات التي تؤثر سلبا في أصالتها وفاعليتها، وجهدها البنائي على المستويين الذاتي والاجتماعي ثالثا.

وما لم يتحقق للأسرة هذا الوعي السنني، وما لم يتحول هذا الوعي السنني إلى ثقافة سننية مؤثرة في الأفكار، والسلوك، والعلاقات، فإنه من غير الممكن للأسرة أن تحقق أيا من أهدافها الذاتية والاجتماعية. وستظل عرضة للإصابات التي تضاعف آلامها ومتاعبها نفسيا واجتماعيا.

إن حجم الخلل الحادث في هذه المؤسسة . كما يرى أستاذنا الدكتور الشاهد البوشيخي كبير جدا. ومرده في كثير منه إلى هذه الحضارة العوراء البين عورها التي اقتحمت علينا بيوتنا ومجالسنا وعقولنا، وأسهمت إسهاما كبيرا في تغيير نفوسنا وأحوالنا وأوضاعنا... ولا نجاة إلا بالعودة الراشدة إلى كتاب ربنا الكريم، وسنة نبينا المصطفى ﷺ، والتوبة النصوح عسى الله أن يصلح من أحوالنا، ويهدينا سبل الرشاد ، ويخرجنا من الظلمات إلى النور.

شيء من التفكير الإصلاحي عند الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس

ذ. محمد حماني

إن سر إصلاح المجتمعات الإسلامية رهين بما رُزقت به هذه المجتمعات من مصلحين وخبراء ربانيين ينيرون لها الطريق في الليالي الحالكة، الدامسة، فيقفون صفا صفا موقف الملاح الماهر في الأمواج العاتية، المتلاطمة، فيوفقون في إرساء سفنها، وجواريها في المياه الآمنة، فتنعم حينئذ هذه المجتمعات بالأمن، والسلم، والسلام، والاستقرار. والمصلح الخبير لابّد أن يكون «عارفا لأمّته، مطّلعا على خفاياها، واقفا على أسرار نفسيّتها، خبيرا بطرق توجيهها، يعرف كيف يخاطبها بلغتها، وكيف يتملّك زمامها، وكيف يكون موضع تقديرها، وإجلالها» (1).

الأستاذ الهراس ورجالات الإصلاح :

أما وقد حمل لواء الإصلاح في العالم الإسلامي الحديث، والمعاصر مصلحون كُثُرٌ أفذاذ أمثال: محمد عبده، جمال الدين الأفغاني، خير الدين التونسي، عبد الرحمن الكواكبي، بديع الزمان النورسي، محمد البشير الإبراهيمي، محمد فريد، مالك بن نبي..، وغيرهم من الرجالات الذين تشبّعوا بروح القيادة الإسلامية الرشيدة، وبحسبي أن أقول: إن الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس واحد من المصلحين الذين درسوا سرّ تأخّر الإصلاح، وعوامل بطئه، وعدم فعاليتها بحس نقدي لعالم مرهف، ففلسف بذلك فكرة الإصلاح؛ لأنها كانت تحتاج إلى أسس فكرية، فامتازت أفكاره بالموضوعية، والتعمق، والشمول، والخصوبة، والحيوية. وعليه فإن مدار فكرة الإصلاح -عنده- هو العقيدة السليمة، فالمشكلة إذن ليست في إعادة العقيدة؛ ولكن في إعادة الإشعاع والفعالية لهذه العقيدة، وهذه «الخميرة الروحية».

كما يذهب الأستاذ عبد السلام الهرّاس إلى أنّ الإصلاح يجب أن يصبو إلى توحيد المشاعر و العواطف، والأفكار، وتمتين الروابط على أساس حضاري يكون للأمّة الإطار العام الذي يغذّيها بكل نزعة خيّرة، وميل كريم حتى تصل إلى المستوى الذي تريد، وتحقّق الآمال التي من أجلها تسعى.

وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ عبد السلام الهراس ينتهج منهج أستاذه مالك بن نبي (رحمه الله) في كون المركّب الرابط لعناصر المدنية: الإنسان، التراب، الوقت، هو الدين، وسرعان ما تلفظ المدنية أنفاسها بتفسّخ عناصرها الأساسية، و تنعدم الرابطة الخلّاقة بين هذه العناصر لخمود الروح، وتصير تلك العناصر معطيات، جامدة، مجرّدة من كل قيمة، وتستطيع الأمة أن تحتفظ بطراوة المدنية و عنفوانها لو أنّها استطاعت الإلمام بشروط الانحطاط وعوامل الانحلال؛ كي تتجنّبها، وتصير في حياتها على وعي وبصيرة، إذ المدنية تمتاز بتطوّرها الداخلي الذاتي الذي يبدأ بالروح، فالعقل، فالغريزة. والمدنية ليست بضاعة تشترى، وإنما هي معان نفسية روحية، من الذات، من الروح، من الفطرة، حيث إن الإصلاح يبدأ من الفرد، ومن النفس حيث المشكلة، ويلتمس الأستاذ عبد السلام الهراس ذلك المبدأ من قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

ولقد لخّص الأستاذ عبد السلام الهراس أنواع القيادات أو مريدي الإصلاح في العالم الإسلامي في نوعين:

أ . نوع مضلل عن سوء نية، أو عن غفلة.

ب . ونَوع يعتمد على الأسس التي اعتمدها المسلمون أوّل الأمر في بناء شخصيّتهم. ومن ثمة فإن فكرة الإصلاح – في نظره – يجب أن تحارب في واجهتين، واجهة الاستعمار

الصريح، وواجهة الاستعمار الخفي الذي تقمّص «شخصيات إسلامية»، و أفكار تجديدية صادرة عن المسلمين، ويكمن خلفها مؤسسات، ومنظمات، وكتب، ونشرات يوجهها حيث يريد.(2)

من معوقات الاصلاح عند الأستاذ الهراس :

ويمكن أن نستقطر الأسباب التي يراها الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس معرقلة للإصلاح في ما يلي:

- العقد النفسية التي تتحكم في أصحابه، تلك العقد التي لا تضع مجالا للبحث في المشكلات الإسلامية بحثا موضوعيا.
- العبث الجدي الذي يبدو في دراسات فنية هزيلة في المشكلات الإسلامية،وسبب هزالتها -في اعتقاده- يتصدّى لمعالجتها أناس غير اختصاصيين، فيخرجون ذات موضوعات قيّمة؛ ولكنها لا تعطي المبرّر الفني لنظرة الإسلام.
- اعتماد حركة الإصلاح على الكم عوض الكيف، حيث لا تقوم الحركة بكثرتها؛ وإنما تكمن قيمتها في مدى فعاليتها، ومساهمتها في الإنتاج الاجتماعي، وحظها من الإتقان، والسداد، والمنطق العلمي. كما أشار الأستاذ الدكتور عبد السلام الهرّاس إلى أن العالم اليوم قد فشل في حل مشاكله بالقوة، والمادة، وليس إلا ميدان الفكرة صراعا و حربا، وعلى المصلحين أن يعملوا على إشاعة رسالة الإسلام في المجتمع، وبثها في أبنائه عن طريق تربية عامة، وشاملة لتُكَون الرجل المؤمن الذي ينطلق بهذا العالم ليؤدي فيه الرسالة التي قام بها السلف الصالح الذين أنقذوا العالم، وأمدّوه بقيم إنسانية خالدة (3).

ثم إن فصل الضمير عن الثقافة، وكذا فلسفة القوة ينتجان معا «الخيبة» تلك الخيبة التي تخلف حسرة في النفوس، وكارثة تهدد بقاء الإنسان. ومهمة الأستاذ عبد السلام الهراس هي المهمة التي سار عليها الأستاذ المفكر مالك بن نبي (رحمه الله)، تلكم هي: «التخطيط العلمي الدقيق للارتفاع بالإنسان إلى مستوى الحضارة، وبالتحضر إلى مستوى الإنسان»، ذلك أن إيجاد الإنسان

المتحضر هي النقطة التي يوجد فيها الخلاص للإنسانية، يقول الأستاذ عبد السلام الهراس: «وما سمعنا قط الاهتمام ببناء الإنسان على أساس بناء العقيدة ومتانتها وفعاليتها، وعلى أساس الأخلاق الكريمة والخلال الحميدة البناءة، وعلى أساس التكوين العلمي والمهني والتكنولوجي المرتبط بالحاجات الضرورية للتنمية، وربط المدرسة والجامعة بالجهاز الصناعي والإداري والاجتماعي وتعزيز ذلك بإعلام راشد وإدارة واعية فعالة ومجتمع مدني يقظ ونشيط، ونهضة اجتماعية شاملة تتغذى من محيطها، وكل ذلك يجب أن يكون محاطا بسياج قوي وصلب وواع ومسئول للحماية والصيانة والتأمين.. «(4).

من آسس النهضة الاصلاحية عند الدكتور الهراس :

كما أنه لا مناص من القول: إن الأستاذ عبد السلام الهراس قد فلسف الحركة التي يقوم بها الإنسان، حيث حصرها في ثلاث حركات: «الحركة الحية»، و«الحركة الميتة»، و«الحركة المشلولة». فيهمنا – هنا – «الحركة الحية» التي لها الأثر الفعال في رقي المجتمع؛ لأنها تنبثق من «فكرة» وتسير بحرارة روحية في جو يشع بالوعي والتصميم، وشأن هذه الحركة أن تكون مبررة تشبه إلى حد كبير الحركة المسرحية، حيث تدفع بالعمل المسرحي نحو الأمام.. نحو تعقيد الحوادث وتأزمها ثم حلها، فهي حركة واعية تدري وظيفتها دراية تامة، وتدرك غايتها حق الإدراك، كما أن لها اتصالا عضويا بما سبقها وبما يتبعها وبما جاورها من الحركات الأخرى»(5).

ولعل المقام مناسب لأقرر في اطمئنان، فأقول: إن من أسس النهضة الإصلاحية لدى الأستاذ الدكتور عبد السلام الهراس ما يأتي:

أولا- القدرة على الاختيار: يقول الأستاذ عبد السلام الهراس: «يجب على الأمة أن تكون لها القدرة على الاختيار لتختار الطريق الذي يجب أن تسيره، وهذا الاختيار يفرض عليها التخطيط الثقافي، والبعث الحضاري، وإثارة الأجواء النفسية والروحية لبث مضمون ذلك التخطيط وفلسفته في النفوس والأرواح. كما يجب على هذا التخطيط أن يكون منبثقا من ضمير الأمة وتاريخها، ومستلهما أساسا عوامل تفجير طاقاتها الروحية على ضوء تجاربها خلال حياتها «(6).

ثانيا – النقد الذاتي: يذهب الأستاذ عبد السلام الهراس إلى أن النقد الذاتي شيء ضروري لاستمرار حركة الإصلاح، وضمان سلامتها، وفعاليتها، حيث يقول: «إن الأمة التي تريد أن تبني كيانها يجب أن تقيم من نفسها رقيبا على سلوكها وتصرفاتها وناقدا لأساليبها في الحياة ووسائلها، والنتائج التي انتهت إليها، إذ بدون نقد ذاتي لا تستطيع أن تبتر عوامل التعويق لنهضتها، وتعويضها بعوامل دافعة وفعالة لحركتها وتسديدها نحو الأهداف بكل دقة وإتقان وسرعة.»(7)

ثالثا- الرفع من المستوى الروحي: إن الرفع من المستوى الروحي شيء أساس في نهضة المجتمع والرقي به إلى مدارج العلا؛ لأن المجتمع أصبح يعيش من أجل المادة، واللهث وراءها، فأدى به إلى خواء روحي جر عليه كثيرا من الويلات. ولا جرم إذا وجدنا الأستاذ عبد السلام الهراس يدعو إلى بناء هذا المجتمع على أساس العقيدة السليمة، والاهتمام بالجانب الروحي في الإنسان، وهذا ما يذهب إليه الأستاذ المهدي بن عبود (رحمه الله): «على البشرية أن تترك الثلثين من حياتها للروح وتترك الثلث الأخير للمادة إن هي أرادت الاستقامة في الحياة مع العيش الرغيد..»

جماع القول: إن الأستاذ عبد السلام الهراس شعلة من مدرسة مالك بن نبي الفكرية الإصلاحية التي أساسها الصلب هو العقيدة السليمة وشعارها إصلاح المجتمع على أسس علمية متينة رصينة تساهم في بناء المواطن الصالح.

---

(1)- زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، دار الكتاب العربي – بيروت، ص:348.

(2)- دعوة الحق، ع:3، س:4، (1960)، مقال بعنوان: « حول فكرة الإصلاح الإسلامي «، د.عبد السلام الهراس، ص:21.

(3)- دعوة الحق، ع:7، س:3، (1660)، مقال بعنوان: « نحو تربية إسلامية «، د.عبد السلام الهراس، ص:8.

(4)- المحجة، ع:25، س:(2006)، بارقة بعنوان: « التخريب الداخلي «، د.عبد السلام الهراس، ص:الأخيرة.

(5) – دعوة الحق، ع:4، س:2، (1959)، مقال بعنوان: « فلسفة الحركة «، د.عبد السلام الهراس، ص:42.

(6)- دعوة الحق، ع:5، س:8، (1969)، مقال بعنوان: « نحو انطلاقة مستقيمة «، د.عبد السلام الهراس، ص:9.

(7)- دعوة الحق، ع:1، س:5، (1961)، مقال بعنوان: « نحو ثقافة إسلامية «، د.عبد السلام الهراس، ص:25.

آفاق واعدة لخدمة السيرة النبوية

في المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في السيرة النبوية بفاس

كانت مدينة فاس يوم الخميس 26 محرم 1436 الموافق ل 20/11/2014 على موعد مع انطلاق أشغال المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في السيرة النبوية في موضوع : «آفاق خدمة السيرة النبوية» حضره ثلة من العلماء وكثير من المهتمين من الباحثين والطلبة.

والمؤتمر من تنظيم مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) بشراكة مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، والمجلس العلمي الأعلى، ومركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث والسيرة العطرة (العرائش)، ومركز السيرة النبوية للدراسات والبحوث (اسطنبول تركيا).

وقد افتتح المؤتمر بآيات بينات من الذكر الحكيم تلتها بعد ذلك كلمات كل من السادة وزير الشؤون الدينية لغينيا كوناكري الذي اعتبر أن انعقاد المؤتمر "يأتي في وقت اشتدت فيه حاجة الأمة الإسلامية إلى الاستفادة من السيرة النبوية العطرة" معتبرا سيرة الرسول ﷺ خارطة طريق للبشرية في التسامح والعفو والرحمة"

وبعد ذلك جاءت كلمة السيد الأمين العام للمجلس العلمي الأعلى التي ألقاها بالنيابة عنه الدكتور سعيد شبار رئيس المجلس العلمي المحلي ببني ملال الذي بين فيها أن الاشتغال بموضوع "آفاق خدمة السيرة النبوية" له مزايا عديدة أبرزها "أنه فسح مجال النظر في السيرة ككل وليس في السنة وحسب، حيث تتاح فرص أخرى للفهم في السياق، وللموازنة والترجيح، ولاستيعاب الاختلاف وللتدبر الأمثل ..إلخ. مما بإمكانه تقريب وجهات النظر في هذا العلم وفي علاقته بسائر العلوم، وتقليص مساحة الاختلاف بين فرق المسلمين.

أما كلمة السيد رئيس جامعة القرويين الدكتور محمد الروكي فقد أكد فيها على حاجة الأمة الإسلامية إلى العودة الراشدة إلى السيرة النبوية قائلا: "ما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى العودة الراشدة إلى السيرة النبوية الهادية، والإقبال على الشمائل المحمدية البانية والاقتباس من أنوار هذه الهدية الربانية السامية، والاغتراف من معين هذه الرحمة العالمية الباقية.

واغتنم هذه المناسبة لدعوة الباحثين للاشتغال بالسيرة النبوية معتبرا "أن أولى ما يجب على البحث العلمي أن يشتغل به أمران:

-أن يقوم بإخراج النص الكامل الصحيح لهذه السيرة النبوية إخراجا علميا في الإثبات والتوثيق.

- وأن يقوم بخدمة هذا النص خدمة علمية شاملة تستوعب كافة الجوانب وتهتم بكل المعارف والعلوم ذات الصلة"

كما ألقى السيد المشرف على مشروع تعظيم البلد الحرام بمكة المكرمة الدكتور طلال أبو النور كلمة بين فيها الأشياء الثلاثة التي وصفها الله تعالى بأنها هدى للناس :

أولها كتاب الله تعالى. وثانيها: رسول الله ﷺ حيث قال تعالى فيه: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ لذلك كان الأمر الرباني بوجوب طاعة أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ معا" فقال سبحانه: ﴿وأطيعوا الله والرسول﴾ وهو أمر محرض على جمع نص السيرة النبوية لأنها النموذج المثال للناس قامت به الحجة عليهم وبه تقوم الحجة إلى يوم القيامة، وثالثها بيت الله الحرام.

وفي بيان أهمية موضوع المؤتمر ومحاوره جاءت كلمة السيد رئيس مركز ابن القطان للدراسات والأبحاث في الحديث الشريف والسيرة العطرة (العرائش) الدكتور محمد السرار حيث ركز فيها على القضايا الآتية:

أولها الترابط المتين بين مؤتمري السيرة (الأول والثاني) اللذين نظمتهما مؤسسة البحوث والدراسات الإسلامية (مبدع) حيث انبنى الثاني على سابقه ووجه الترابط والارتباط هو أن المؤتمر الأول "إذا كانت فكرته تستبطن دعوة إلى التعريف بسابق الجهود في مجال السيرة النبوية لتقويمها ثم الإفادة منها فإن هذا المؤتمر تنطوي فكرته على دعوة إلى ارتياد جديد الآفاق في خدمة هذه السيرة الشريفة.

ثانيا الترابط المتين والبديع بين علم الحديث وفن السيرة النبوية وهو واضح في محاور المؤتمر من حيث أفق مصادر السيرة وأفق متنها وأفق فقهها وأفق تقريبها وأفق المشاريع الخادمة لها، وذلك الربط ينبئ أساسا بخصوصية العلمين وتداخل ما ألف فيهما تداخل مادة، وتداخل تصنيف.

أما السيد الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي فقد حددت كلمته خارطة الطريق للباحثين في السيرة النبوية ل"تستشرف الأفق المنشود لخدمة السيرة الهادية البانية" فالسيرة النبوية هي "السيرة السنة" إنها السيرة السنة التي تكمن وظيفتها "في إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد" وهي " السيرة المنهاج في كيفية إحلال هدى الله -وهدى الله هو الهدى- في الواقع" وهكذا بين الدكتور الشاهد البوشخي مقصد هذا المؤتمر في «هذه المأدبة النبوية الثانية إنما هو من أجل تبين لوازم السير إلى تلكم السيرة الجامعة» :

ودعا في آخر كلمته الباحثين لاقتحام العقبة، والاستجابة للنداء ففيهم الأمل، وعليهم بعد الله تعالى المعول أن يعيدوا تركيب السيرة المنهاج، بعد توثيق ما حقه التوثيق، وتحقيق ما حقه التحقيق، وجمع ما حقه الجمع،وغربلة ما حقه الغربلة، وتصنيف ماحقه التصنيف وتأليف ما حقه التأليف..

وختمت جلسة الافتتاح بكلمة اللجنة المنظمة التي ألقاها الدكتور مصطفى فوضيل المدير التنفيذي للمؤسسة وضمنها ترحيبا بالحضور وتنويها بجهود كل من أسهم في إنجاح المؤتمر، وبيانا لأهدافه ومقاصده ومحاوره ومراحل إنجازه وما يتطلع إليه المؤتمر من الخلوص إليه من توصيات من شأنها أن ترسم للباحثين مجالات البحث في السيرة،

وتجدر الإشارة إلى أن المؤتمر استمرت أشغاله ثلاثة أيام في ست جلسات عدا الجلسة الافتتاحية والختامية وجلسة شعرية ليتدارس ست قضايا تمثل آفاق خدمة السيرة: خدمة مصادر السيرة النبوية، وخدمة متنها، وخدمة فقه السياسة والاجتماع ومنهاج الإصلاح في السيرة النبوية، وخدمة فقه التربية والتعليم في السيرة النبوية، وخدمة التيسير والتقريب للسيرة النبوية، وأفق مشاريع خادمة للسيرة النبوية.

كما تجدر الإشارة إلى أنه بجانب أنشطة المؤتمر كانت هناك أنشطة علمية أخرى، حلقات بحثية، لقاءات ومحاضرات عامة.

وانتهى المؤتمرون -الذين تدارسوا ما يقرب من ثلاثين عرضا- إلى خلاصات عبر عنها البيان الختامي الذي تضمن توصيات علمية وعملية ينتظر -إذا رأت النور فعلا - أن تقدم خدمات جليلة للسيرة النبوية في مختلف المجالات والمستويات وأن تفتح عهدا جديدا للأمة في الاستفادة من سيرة رسول الله ﷺ خاصة في مجالات التوثيق والفهرسة والإعلام والتربية والإصلاح.

إعداد: د. الطيب الوزاني

ترقبوا عددا خاصا عن المؤتمر

أيسر القواعد لبلوغ أنبل المقاصد

الطبّ حفظ صحة برءُ مرض، دون إرهابٍ للمريض ولا شَتمٍ للمرض (1)

د. محمد بريش

كان العنوان الأصل لهذه القاعدة يوم عرضتها محاضرا في أحد المؤتمرات بألمانيا بمدينة دوسلدورف سنة 1997، ثم ألقيتها خطيبا من منبر الجمعة بالرباط سنة 1998 هو: «الواجب نحو المنكر النّهي والتغيير، دون سبّ ولا تعيير». ونظرا لما تحمله كلمة «تغيير» من معنى يُراد به أساسا في المفهوم القرآني التغيير السلبي، لأن الأصل في النعمة توفرها على أحسن حال، ثم يفسد المرء بقاءها بتغيير في ضوابط شكرها يهدّد زوالها في المآل، ارتأيت أن أبتعد عن مصطلح التغيير، خاصة وأن النّحلة في القرآن، نحلة النهي عن المنكر، معبّر عنها بلفظ «النهي» في آيات شتى، منها قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: 90)، ومنها قوله عز وجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران: 110)

ورغم أن حجّتي في العدول عن كلمة تغيير يفنّده استعمال من هو أبلغ الفصحاء وأفقه البلغاء وسيد الأنبياء حبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله – عليه أشمل الصلاة وأزكى السلام وعلى آله وصحبه الكرام – كتفعيل عملي للنهي عن المنكر، فإن ما كان يدفعني حقيقة لكلمة التغيير هو السجع والتناغم مع كلمة التعيير، حتى يسهل حفظ القاعدة وتدوم بذكرها الفائدة. فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (رواه مسلم).

ثم إنني كنت كلما سنحت الفرصة ذكّرت من منبر الجمعة ببعض القواعد التي سبق أن أشرت إليها بأسلوب مغاير وعناوين مختلفة، لكن بنفس المعنى حتى تحصل الفائدة، فكان أن عبرت مرة عن القاعدة «الواجب نحو المنكر النهي والتغيير، دون سبّ ولا تعيير»، بأسلوب آخر فقلت شارحا لها: «الطب حفظ صحة برء مرض، دون ضياع للوقت ولا للجهد في تشديد اللوم على المريض، ولا كيل الشتائم للمرض، ولا استغراق الوقت في تعداد الأسباب أو الاكتفاء بتحميل المسؤوليات للمريض وأهل المريض بدل الإسراع بمباشرة علاج المرض».

وكنت في مقتبل عمري قد اطلعت على أرجوزة لابن سينا في الطب في كتاب أنيق الطبعة، مع ترجمة لنص الأرجوزة بالفرنسية وأخرى عتيقة باللاتينية (طبع الكتاب بباريس سنة 1956 وعمري وقتها ثلاث سنوات، أي عمري زمن طبعه وليس الاطلاع عليه!)، فأعجبت بها وبنظمها مع بعض التحفظ على بعض أبياتها، يبدأ فيها الطبيب الرئيس الكلام عن الطب – بعد حمد الله والثناء عليه وتحديد المراد من الأرجوزة – بتعريف ماهية الطب بقوله:

الطبُّ حفظُ صحةٍ بُرءُ مرضْ
في بدنٍ من مرض عنه عَرَضْ

فاخترت صدر البيت ليكون منطلق القاعدة لتصبح الصياغة الجديدة لها «الطب

حفظ صحة برء مرض، دون إرهاب للمريض، ولا شتم للمرض»، وهي صياغة معبرة عن المراد، إذ أتقن الطبيب الرئيس ابن سينا تعريف الطب، ولا أظن طبيبا أو غيره من أولي النهى سليم آلة الدرك يجادله فيه، ففيه الكفاية والغاية لذي حِجر، إذ المقصد الأساس من الطب حفظ الصحة، ومنتهاه برء المرض؛ وغاية الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل سياسة المجتمع وإدارته والعمل على النهوض به، حفظ الناس والمجتمع مما قد يعطّل دنياهم أو يضرّ بأخراهم.

الطب عنايةٌ بالمريض وعلاجٌ للمرض:

«الطب حفظ صحة برء مرض، دون إرهاب للمريض، ولا شتم للمرض»، فمن كان السبّ دأبه والشتم ديدنه فهو مريضٌ يحتاج قبل غيره إلى عاجل علاج، إذ مثله ينفعل أكثر مما يفعل، وتستفزه بشاعة الداء شاغلة لذهنه عن الاهتمام بقويم الدواء، لا يطيق رؤية المريض ولا يستحمل السماع عن المرض، فلا تكاد مهارته وخبرته تنفعُ بشيء إلا حين هدوء نفسه وتركيز عقله.

ذلك أن الطبيب الماهر لا يحتاج إلى شتم للمرض، ولا يُستساغ منه تعنيف للمريض، فإن الداعية والواعظ والعالم والمعلم ورجل السياسة والإدارة ليس أي منهم في حاجة لشتم المنكر وسب الشر والأشرار، ولا هو مقبول من أحدهم تشديد العتاب على من وقع بجهالة في معصية أو ذنب، أو لوحظ عليه الخطأ أو العطب في تحركاته وفعله.

وضوابط طبّ النفس وطبّ الروح وطبّ صلاح المجتمع حدّدها الخالق عز وجل فقال: ﴿ادعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسَن﴾، وهي كلها عبارات تدعو في كل أداة من أدوات الدعوة الثلاث إلى الارتقاء للقمة في الأداء، وحسن التناول وجميل التصرف: الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن؛ فلا مجال لتعنيف أو ترهيب بين الحسن والأحسن، ولا مكان للسب والشتم في مجال أحكمتْ تطويقه الحكمة.

فالمقصد الأساس حفظ الصحّة، صحة الأبدان والأرواح، وصحة الأجساد والأنفس، والغاية المثلى البرء من الأمراض وزوال الأسقام، وعلاجُ ذلك لا ينفع فيه التعنيف إلى درجة الإرهاب، ولا اللوم إلى مستوى السب والشتم، ولكن تبلغ القصد الرفيع منه الحكمة في المعالجة والتناول، وملازمة الرفق واستصحاب الحلم وحسن التعامل، في مناخ ركائزه نفائس القيم ومكارم الأخلاق.

ونحن إذ نركز على جانب الدعوة –والتعليم برمته جزء منها، إذ المعلم داعية، بل من أهم الدعاة– فإننا لا نغفل عن كون الانتقال في رحاب الحكمة بالوعظ والجدال من الحسن إلى الأحسن لازم في كل المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، خدمة لكل الفئات، الشابة والراشدة والتي مسّها الضعف والشيبة.

والدعوة والإصلاح كلاهما حكمةٌ ورفقٌ ونصحٌ وتسديد:

والدعوة طبٌّ للنفوس، والإصلاح طبٌّ راق للمجتمع والأفراد، وكل منهما لا يخرج عن قوانين الطب وأخلاق الطب، وكلاهما يحتاج لحكمة ورفق وحلم وحسن تسديد وجميل ترشيد، في كل مجال وبكل ميدان، حتى ولو تعلق الأمر بإنزال العقوبة حين القسط أو التعزير حين العدل.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيقٌ يحبُّ الرفق في الأمر كله» (متفق عليه)، وعنها رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانهُ، ولا ينزعُ من شيءٍ إلا شانهُ» (رواه مسلم)، وعنها كذلك رضي الله عنها «يا عائشة، إن الله رفيقٌ يحب الرفق، وإن الله يعطي على الرفق مالا يعطي على العنف وعلى ما سواه» (متفق عليه). ويؤكد هذه الأحاديث الصحيحة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصّلت: 34).

بل نجد الميول للرفق وحثّ المؤمنين على الستر والعفو فيما بينهم، وتجنب رفع المظلمة للحاكم ما أمكن، من الأخلاق والشيم التي نصح بها رسول الله ﷺ أمته ولو تعلق الأمر بإحقاق الحق وإقامة العدل، حرصا على اللطف والتراحم حتى مع من أجرم، وهذا من جميل التطبيب للمجتمع والعمل على كمال صحته.

ففي حديث حكم الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (182/4) بحسنه عن عبد الله بن مسعود قال : إني لَأذكرُ أولَ رجلٍ قطعه رسولُ الله ﷺ، أُتيَ بسارق فأمر بقطعِه، فكأنما أسفَ وجهُ رسولِ اللَّه ﷺ، فقالوا : يا رسولَ الله كأنك كرهتَ قطعَه؟ قال: «وما يمنعُني؟» (بمعنى أنه لم يجد ﷺ شرعا ما يمنعه وإلا لامتنع)، «لا تكونوا أعوانا للشيطان على أخيكم، إنه لا ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حدٌّ إلا أن يقيمَه، إنَّ اللهَ عفُوٌّ يحبُّ العفْو»، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: من الآية 22)

وسار على نفس النهج الخلفاء الراشدون في لينهم وتعاملهم مع المنكرات بنوع من التطبيب فريد يعالج المرض ولا يعنّف المريض، ففي أثر لا تخل أسانيده من مقال سَأل عمر بن الخطاب ﷺ يوما عن رجل يعرفه، فقالوا له: إنه خارج المدينة يتابع الشراب، فكتب له عمر يقول: «إنني أحمد إليك الله الذي لا إله غيره، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب». فلم يزل الرجل يردّد كتاب عمر وهو يبكي حتى صحّت توبته. ولما بلغ عمر ﷺ قال: «هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخاكم زلّ زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه».

وكذلك كان الجيل الأول من الصحابة الكرام ﷺ، فقد جاء في كنز العمال للمتقي الهندي، وشعب الإيمان للبيهقي، عن أبي قلابة أن أبا الدرداء مرّ على رجل قد أصاب ذنبا فكانوا يسبونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في قليب (وهو البئر إذ القليب اسم بئر في بدر) ألم تكونوا مستخرجيه قالوا: بلى قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي.» (الحديث فيه مقال لأن أبا قلابة لم يسمع من أبي الدرداء كما قال ابن حجر في الفتح).

الطب سليمُ فحص وقويمُ تشخيص:

والطبُ فحصٌ وعلاج، أي تشخيصُ حالٍ واستشرافُ مآل، إن أُخذ بالعلاج فهو مآلٌ لا شك واعدُ الحصاد، وإن أُهمل فقادمٌ منذرٌ للورم بازدياد!

وحتى نوجز العبارات نضرب المثل: واقعنا المتردي مُزمنُ المرض، إذ المرض به قديم! فالاستعمار مرحلة استفحل فيها المرض، وعصور الانحطاط قبله كانت مرحلة مرضية مهّدت لما بعدها من تحلّل واحتلال، ولم تعدم الأمة أطباء فضلاء دعوا بقدر ما استطاعوا لقويم العلاج، فاستجاب البعض وانغمست الكثرة في مزيد اعوجاج. فمثلا في ماض قريب، استنفرت الطاقات لتحرير فلسطين وتقاعس الذين خانوا الله ورسوله، وفي كل كرة من عدوان الغاصب ينادي المنادي فلسطين تستغيثكم، ثم يمكر الذين غدروا، ويعتذر الذين للجهاد غادروا!

وجاء اليوم المعذّرون من الأعراب

←

يردّدون أن «داعش»أفسدت وأهلكت، و«القاعدة» من قبل دمّرت وتآمرت، وغدا يدعون أن «براقش» سفكت وهتكت، وهلم جرا مما يُصنع ويتشكل من الكيانات الفُجائية تحت أعيننا، لضعف في مناهج تربيتنا وتعليمنا، وغياب لقويم الدعوة في أوساطنا، ووأد للنصيحة بيننا، وشطط في السلطة ساهم في تفكك في مجتمعاتنا، وتوظيف لبعض أولادنا وفلذات كبدنا في تيارات ضحلة الفكر سقيمة الوعي مقطوعة الأصل، مع صمت مريب من معظم علمائنا وأغلب فقهائنا!

وهو تشخيصٌ منهمٌ أعمى، وخللٌ في التحليل أدهى، يرى الضرر حيث حَدَّد الغير أن يُرى! أما القصف المتواصل للمدن والقرى بالدبابات والبراميل، والدماء الجارية بالرصاص والقنابل، وإهانة المسلم وقتل المؤمن في واضحة النهار، والمساس بالمقدسات، وانتهاك الحرمات، والاعتداء على الأطفال والنساء، فذاك شيء زاغت عنه الأبصار، ويُتهم بالتواطؤ والإرهاب من سولت له نفسه نعت أصحابه ودعاته بالظلمة الأشرار!

أصلُ الدّاء الغفلةُ عن لوازم الإعداد وشروط الاستعداد:

وأصل الداء الغفلة عن لوازم الإعداد، علما وفهما وتطويرا وتمكينا، وتفعيل ذلك بما يستدعيه الموقف من الأهبة والاستعداد، بالعلم والتعلم والإتقان والخلق الحسن، والإقدام على الله ذكرا وعبادة، وطاعة لله ورسوله، وإبعادا للشقاق ودواعي الفرقة، والتواصي بالحق والصبر، لينعم الخالق بعد تمام الإعداد وكمال الاستعداد بالإمداد، فذلك طبٌّ خاص، لا مجال فيه لغياب الحكمة أو التفريط في مستلزمات شكر النعمة.

ذلك أن الاستراتيجية فنونٌ ثلاثة : تعبئةٌ ومواجهة ومراجعة، عرضتها سورة الأنفال فبدأت بالمراجعة، ثم فصّلت في ضوابط المواجهة، لتنتهي بلوازم التعبئة، ولنقدم تأصيل الفنون الثلاثة في محطات ومراحل ثلاث بترتيب معاكس: مرحلة الإعداد، ومرحلة الاستعداد، ثم مرحلة الإمداد. والمرحلة الخاتمة هي الفصل، إذ فيها يتجلى النصر، وهو من عند الله لا دخل لغيره فيه، فحتى الملائكة الألف المردفين بآلاف غيرهم، إنما ردفوا لمشاركة المؤمنين بشرى النصر، وفقه تلك المراحل يحتاج إلى وقفات نرجو الله أن ييسر عرضها وبسط نفائس درسها.

وطبّ المجتمعات استراتيجيٌ بالأساس:

وحفظُ الصّحة وبرءُ المرض في منطوقه الاستراتيجي هو على منهج ما أشرنا إليه في القاعدة الاستراتيجية الأولى «الأولوية للحق وأصواته، ولا فزع لا من حجم الباطل، ولا من تعدّد أبواقه» وما تفرع عنها من قواعد خمس:

«إنّ الراشد من أصوات الحق ينبغي أن يُحفظ»، أي أن يحفظ في تمام رشده، وكمال صحته وعافيته. فحفظ الموجود ضروري لمباشرة السعي للمفقود.

«وأنّ القاصر منها ينبغي أن يُرشّد»، وترشيده يحتاج إلى حسن تطبيب، وإتقان فحص، وعميق تشخيص، دون إرهاب أو ترهيب.

«وأن المعوجّ منها ينبغي أن يقوّم ويسدّد»، وهذا عملٌ جليلٌ، لا يتقنه إلا ماهر الأطباء وحكيم الفقهاء.

«وأن المكبّل منها يلزم أن يفكّ قيده ويساعد»، فحسن طبّه في فكاك قيده، لا في تعنيفه وإرهابه.

«وأن الغائب منها ينبغي أن يوجد»، وعلى رأس قائمة الغائبين: المهرة في الطب الراسخين، الذين هم بلسمُ الأمة، في شتى أنواع العلم وفنون علوّ الهمّة.

وترى الماكر المتربص بنا الدوائر يُلهب الأبواق صراخا يدّعي لحالنا حُسن التطبيب والتشخيص، فيهوّل العطب ويتباكى على صغير الجرح، ليقترح مكرا ما يدعيه دواء وهو عين الداء! إن رأى بقدمنا جرحا تداعى للنصح أن عين السلامة وسديد الترياق هو في بتر الساق، ثم لم تكن فتنتنا إلا أن صدقناه بأن علاج العمش بالعين هو في قطع الرأس، لما استدل به من برهان يقيني أن العين بالرأس!!! ولنا فيما تقترحه المؤسسات المالية الدولية من حلول لأزماتنا برفع سقف الدّين الربوي وتقليص الدعم الاجتماعي أفضل المثل وأكبر العظة!

ثم سخرية منا يتهمنا هذا «الطبيب الناصح» باغتيال ذواتنا وبتر أطرافنا، ليختم حكمه بجهلنا، وتفاقم شرنا، وخطرنا على الكون والحياة والإنسان. بيد أن أصل الأدواء هو في انشغالنا باللعن المتواصل للمرض وأسباب المرض، وجهلنا المخيف بقواعد الطب ومستلزمات التطبيب، أو بصريح العبارة في ابتعادنا عن معين الطب الذي فيه شفاء للناس ورحمة وهدى ورضوان، وركوننا لمن يرى بقاءه ونماءه في حربنا أيا كان الزمان والمكان!

أصل الداء الغفلة عن لوازم الإعداد، علما وفهما وتطويرا وتمكينا، وتفعيل ذلك بما يستدعيه الموقف من الأهبة والاستعداد، بالعلم والتعلم والإتقان والخلق الحسن، والإقدام على الله ذكرا وعبادة، وطاعة لله ورسوله، وإبعادا للشقاق ودواعي الفرقة، والتواصي بالحق والصبر، لينعم الخالق بعد تمام الإعداد وكمال الاستعداد بالإمداد، فذلك طبٌّ خاص، لا مجال فيه لغياب الحكمة أو التفريط في مستلزمات شكر النعمة

طبّ التجزئة والتصنيف ليس بطب:

ولم نعدم بيننا أدعياء طب رأوا الحلول في التجزئة الزمنية، فشيدوا بماضي الأمة إقامات يفرون إليها لغلبة الظن أن أهلها كانوا من الأطهار والسلف الأخيار، مع تزاحم الأوراش منها بالقرن السابع لدواعي الاختيار، وفتح بعضهم بالحاضر عن حسن ظن بابا لتفريج الكرب وتهذيب النفس عبر نافذة أصلها الحق في ما سماه عمدة الحديث محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه «باب الرقاق»، تأوّل مع الزمن أطباؤها وصفة أدويتها فقدموا الجنيد وأخروا الجند! وآخرون وجدوا ضالتهم في الأزمنة القادمة، فرمت طائفة منهم الغد بالأماني، واستدعت طائفة منهم أهوال وأشراط الساعة على نحو ما ذكرناه في القاعدة الاستراتيجية السالفة: «الجهل بالسنن لا يعذر بكثرة الفتن»!

ثم وزعنا ذواتنا بناء على التجزئات السابقة بين أصناف شتى من الفرق والجماعات، من متقدم ومتطرف وليبرالي وثوري وإسلامي وإسلاموي وسني وشيعي وصوفي وقاعدي، وهلم جرا،... وأكثر ما نتّحد فيه السعي الكثيف للدنيا بأدواتها الحديثة وفي مختلف مراعيها المعاصرة، لا نكاد نختلف في الكدّ لها والحرص عليها إلا نتفا! والجهات المسؤولة تعزّز هذا الانفصام وتبرّر انتشاره بادعاء السعي لحفظ الصحة والبحث عن العافية وقطع دابر الألم، رغم ما نلحظه من تفاقم الداء وزيادة الورم، فليس من عافية أن يكبر الجرح ويتفاقم السقم!

خطرُ إرهاب المريض وبؤسُ شتم المرض:

ذلك موجز تحليل لمشروع حفظ الصحة وبرء المرض، أما معضلة إرهاب المريض وظاهرة شتم المرض فالآيات في موضوعهما مفصّلة فاصلة، والأحاديث النبوية للتصدي لهما هادفة حاسمة، نذكر بعضها دون ذكر للسند أو تفصيل في الرواية، فلعلّ ذلك يتدارك منا بإذن الله وعونه حين جمع القواعد في كراس يبوبها ويرتبها، يخرج أحاديثها ويوثق نصوصها، بعد مراجعة وتصويب، وإضافة وتهذيب.

يقول الله عز وجل :﴿ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ قَدْ جَاءكُم بَصَائِرُ من رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَلَوْ شاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ من دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ علْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ .(سورة الأنعام : 102-108)

فقبل أن يأمر الله المؤمنين بعدم سبّ من يسبه هو جلّ وعلا نبّه إلى صفاته المثلى فقال عزّ من قائل : ﴿ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾. ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾فهل إله بهذه الصفات يضره أن يُسب؟ كيف وهو خالق كل شيء، والحاضر في كل مكان، والمدرك لكل أمر؟ فهو سبحانه يعرف سبّ المشركين له سرا وجهرا، وهو عز وجل لا يضره سبّهم ولا شتمهم له شيئا، إنما يريد منا نحن المؤمنين ويدعونا نحن المسلمين أن لا ننشغل بسبّهم، أو ننغمس في الردّ عليهم، فشتان بين إبطال قبيح فعلهم والانشغال بسبّهم.

وفي ذلك آية وعبرة، بل إعجاز وبلاغة، فلم يقل جلّ وعلا إذا سبّكم الذين كفروا فلا تسبّوهم، بل ضرب المثل بأقبح من ذلك فاحشةً فقال : ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ من دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ علْمٍ﴾، وبسط سبحانه علة المنع في أن السبَّ يرد عليه حتما بسبّ، وأنكم يا معشر المؤمنين بسبكم آلهتهم سيسبون إلهكم، أي ضمنيا إذا شتمتم أصلهم سيشتمون أصلكم، وإن سببتم قومهم سيسبّون قومكم، وبمعنى أوضح لما هو في الآية أحكم وأبلغ: السبّ سلاحُ الجبان، فالأولى الابتعاد عنه لمن تحلى بالإيمان.

فالشيطان يوحي عبر سبّك خصمك أنك قد حققت نصرا، ولكن الحقيقة أنك مكّنته من إقامة بعض الحجة عليك بذمه وسبه، فضلا عن كونك فوّتّ على نفسك وقتا وطاقة بذلك، كان الأليق أن توفّرها لما أنت مكلّف به، إذ هو الأمر الذي من أجله يعاديك ذاك الذي أنفقت جهدا وضيّعت وقتا في سبّه. فلنفرض أن رجلا يحرث أرضا وآخر لا يكرهه ولا يعاديه إلا لكونه يقوم بذلك الحرث، فجاء عدوه هذا يسبه ويشتمه، وبدأ هو ينشغل عن حرثه بالرد عليه، فهل يكون الحارث بسبه وشتمه مهما تعدّدت نعوت الشتم وغلظت ألفاظ السبّ قد حقق شيئا في النيل منه؟ أم أن عدوّه هو الذي حقّق ما يفرحه بانصراف صاحب الحرث عن حرثه؟

ولهذا نلمس في الآيات البينات التي تلوناها أمر الله جلّ وعلا نبيه والمؤمنين بالاهتمام بالحق دون اكتراث للباطل فيقول: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾، ففي ثنايا القول الكريم قمة الطب وأنفسه، طبّ النفوس وعلاج الأمراض النفسية والاجتماعية، ثم أعقبها عز وجل وقد تم البيان بالأمر الهام مع توضيح علته : ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ من دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ علْمٍ، كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ، ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

جاء في أحكام القرآن لابن العربي المعافري رحمه الله: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ: لَا تَسُبُّوا آلِهَةَ الْكُفَّارِ فَيَسُبُّوا إلَهَكُمْ وَكَذَلِكَ هُوَ؛ فَإِنَّ السَّبَّ فِي غَيْرِ الْحُجَّةِ فِعْلُ الْأَدْنِيَاءِ. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَعَنَ اللَّهُ الرَّجُلَ يَسُبُّ أَبَوَيْهِ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَسُبُّ أَبَوَيْهِ؟ قَالَ : يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ.» فَمَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَحَدًا أَنْ يَفْعَلَ فِعْلًا جَائِزًا يُؤَدِّي إلَى مَحْظُورٍ، وَلِأَجْلِ هَذَا تَعَلَّقَ عُلَمَاؤُنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي سَدِّ الذَّرَائِعِ، وَهُوَ «كُلُّ عَقْدٍ جَائِزٍ فِي الظَّاهِرِ يُؤَوَّلُ أَوْ يُمْكِنُ أَنْ يُتَوَصَّلَ بِهِ إلَى مَحْظُورٍ.»

وورد في صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ : «لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ سَبَّابًا وَلَا فَحَّاشًا وَلَا لَعَّانًا، كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ (أي حين العتاب)مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ.»

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»، ويجدر بنا أن نلاحظ في الحديث إلى جانب النهي المطلوب أن النبي ﷺ أشار لمرتبة الصدّيق لكونها المرتبة الأولى التي يتنافس عليها المنعم عليهم – الذين نسأل الله في الصلاة تكرارا أن يهدينا صراطهم – بعد أن اصطفى الله من شاء من الأنبياء في قوله عز وجل : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء : 69)، فمن رام المنافسة والسباق لتلك المرتبة فلا يستوي أن يكون لعانا، بل كونه كذلك مخرجه كلية من السباق لدرجة الصديقين بوجود الخلل في طاعة الله ورسوله الطاعة المثلى!

وروى الإمام أحمد وأبو داود والهيثمي والطبراني في الكبير عن أبي تميمة عن أبي المليح عن رجل قال: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ ﷺ فَعَثَرَتْ دَابَّتُهُ فَقُلْتُ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فقال: «لا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولَ بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ بِسْمِ اللهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ».

فإذا كان هذا لأكبر عدوّ فكيف بمن دونه؟ أو ليس بسبّنا المتواصل ولعننا المستمر تتعاظم إسرائيل وأمريكا ومن نظنهم من الأعداء من غرب وشرق؟ الدفاعُ عن النفس والدين والأرض والعرض والمال شيء، والسبّ والشتم والتعيير واللعن شيءٌ آخر مخالف، ومن رام التحلي بالأولى لزمه التخلّي عن الثانية؛ فما يلتقي الأمران كما لا يجتمع في جوف المرء قلبان!

يتبع

احذري لصوصا يسرقون حليك

(3)

فرحة عارمة ملأت خلجات نفسي وحلي التوحيد وميضها يشع نورا من قلب صان الإخلاص، ونجا من شراك التعلق بالخميصة والقطيفة، لكن حبائل الشيطان تأسر معصم العفة .

لصوص العفة

جعلك الله تعالى في دنيا الناس ذرة غالية، وجعل في اتباع أمره واجتناب نهيه عزك وفخرك. فاحذري من:

نفث عشق كذوب

يكون الشيطان ثالث جليس أهل العشق أو الخلوة، فيوسوس ويزين، يقنعك أنها جلسة بريئة، ولا براءة فيها، لأنها حبائل غواية تفضي إلى معصية، إنها حقيقة خرجت من أعذب فم طاهر صادق، وتؤكدها وقائع الحياة قال ﷺ: «ما اختلى رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»، فما فقدت فتاة جواهر عفتها إلا بدنس خلوة استأسد فيها الشيطان تاركة حسرة وندامة، ولا لطخت فتاة بوحل الفاحشة إلا بمسمى العشق الكذوب.

إن حب الله تعالى وتشريفه وتطهيره لك تجسد أحكاما شرعية تبعدك عن مخالب الذئاب، وتجعل هامتك تجاوز مناكب الجوزاء عفة ونقاء، فإياك ومسميات العشق، أو الصحبة المردية إلى المهالك.

ب- أوصاف البطالين

فهذه امرأة أعجبت بجمالها ولفها إبليس بحبائله ونفث في أذنيها: «إن جمالك فتان» فنظرت إلى وجهها في المرآة فأعجبت بجمالها، وقالت لزوجها: أترى أحدا يرى هذا الوجه ولا يفتن به؟ قال: نعم، قالت: من؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فأذن لي لأفتنه، قال: أذنت لك، قال: فأتته كالمستفتية فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها : اتقي الله يا أمة الله، قالت: إني قد فتنت بك فانظر في أمري.

قال: إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقت نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك.

قال: أخبريني... لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك، أكان يسرك أني قضيت لك حاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت.

قال: لو أدخلت في قبرك وأجلست للمسألة، أكان يسرك أني قضيت لك الحاجة؟ قالت اللهم لا، قال: صدقت.

قال: لو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت.

قال: فلو جيء بالموازين وجيء بك لا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك، أكان يسرك أني قضيت لك حاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت.

قال: فلو وقفت بين يدي الله للمسألة، أكان يسرك أني قضيت لك الحاجة؟

قالت: اللهم لا، قال:صدقت،

قال: اتقي الله يا أمة الله فقد أنعم عليك وأحسن إليك.

فرجعت إلى زوجها، فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير، أفسد علي امرأتي، كانت في كل ليلة عروسة فصيرها راهبة (1).

لقد أدركها الله عز وجل بتوبة لما صدقت في جوابها. فاصدقيني بُنَيَّتي في الجواب لماذا تكشفين محاسنك؟ لِمَ تخضعين بالقول؟ لم تصاحبين شبابا وتعاشرينهم معاشرة الزوجة لزوجها؟

أناشدك الله أن تكوني صادقة، علّ صدقك في الجواب يقيض الله تعالى لك به لطائف ربانية تذيقك حبه، وحب طاعته.

حب النجاة

كما أذاق جارية السري السقطي حب النجاة، أخلصت فخلصت من ربقة العبودية فاسمعي مني هذه البشارة:

....دخل السري السقطي سوق النخاسين قال: فرأيت جارية ينادى عليها بالبراءة من العيوب، فلما انصرفت بها عرضت عليها الطعام فقالت لي: والله يا سيدي ما رأيت أحدا في دارنا أكل نهارا قط. قال: فخرجت، فلما كان العشاء أتيتها بطعام فأكلت منه قليلا، ثم قالت: يا مولاي بقيت لي خدمة؟ قلت: لا، قالت: دعني لخدمة مولاي الأكبر، قلت: إي وكرامة، فانصرفت إلى بيت تصلي فيه، وصليت أنا العشاء الآخرة، ورقدت، فلما مضى من الليل الثلث ضربت الباب علي، فقلت لها: ماذا تريدين؟ قالت: يا مولاي أمالك حظ من الليل؟ قلت: لا، فمضت، فلما مضى النصف منه ضربت علي الباب، وقالت: يا مولاي قام المتهجدون إلى وردهم، قلت: يا جارية... أنا بالليل خشبة وبالنهار جلبة، فلما بقي من الليل الثلث الأخير: ضربت علي الباب ضربا عنيفا، وقالت: أما دعاك الشوق إلى مناجاة الملك، قم لنفسك وخذ مكانك فقد سبقك الخدّام، فهيج مني كلامها خاطرا، وقمت فأسبغت الوضوء، وركعت ركعات، ثم تحسست إليها فوجدتها ساجدة وهي تقول: بحبك لي إلا غفرت لي، فقلت لها يا جارية ومن أين علمت أنه يحبك؟ قالت: لولا محبته ما أَنَامَك وأقامني، فقلت: اذهبي، فأنت حرة لوجه الله العظيم، فَدعت ثم خرجت وهي تقول: «هذا العتق الأصغر بقي العتق الأكبر» (2)

ما أحلى حبا يكسر قيود الذل والانصياع، ويحيي همة التوق وولع الشوق إلى جنب الله تعالى، فهنيئا لمن ذاق لذيذ حبه جل وعلا. وبرد الأنس به سبحانه.

لا تستطيلي الطريق فمن استطال الطريق ضعف مشيه، أعلنيها قومة لله الكبير المتعال ونهضة من سنة الغفلة، فإن القلب يستنير بالحياة لرؤية نور حب الله تعالى.

---

1 – ذم الهوى البيهقي ص210ـــ211

2 – الصلاة والتهجد لابن الخراط. ص:392.

بقلم :

ذة. رجاء عبيد

رمضة

موهبة

ينزوي آخر الفصل شاردا في عالمه.. تداعب أنامله يراعه وورقته البيضاء.. يرسم.. لم يفلح معه الترغيب ولا الترهيب..

حضر أبوه بناء على استدعاء إدارة الثانوية له.. نهره أمام أساتذته وزملائه بقوله :

"أنت أحمق، غبي، فاشل.. لن تفلح أبدا... إخوتك يدرسون في شعب علمية.. وأنا وأمك درسنا العلوم.. وأنت تريد التخصص في الفنون الجميلة.. !"

طأطأ الفتى رأسه مبتسما ولم يعقب..

لم تُجْد حلول الأبوين.. ولا حلول الأساتذة.. جزموا جميعهم أن الفتى شخص غير عادٍ في حاجة إلى علاج..

لكنهم لم يصدقوا أنفسهم حين فاز الفتى في مسابقة عالمية للرسم.. حيث تم تقديم منحة دراسية له في أكاديمية مشهورة للفنون الجميلة... !

بقلم :

ذة. نبيلة عزوزي

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل :.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغـــرب : 60 درهم

■ خارج المغـــرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات، فاس – المغرب

رجل من الشرق... رجل من الصحراء *

الأستاذة الشاعرة أمينة المريني
عضو المكتب التنفيذي لاتحاد كتاب المغرب

لست أدري لماذا حين أذكر الشرق، أو أذكر الصحراء، أشعر بخيط نوراني يربطني بالسماء. أو كأن الصبا تهب علي فتنفحني بدفق متجدد من أجل الحياة. من الشرق أتى كل شيء جميل. ومن الصحراء انطلقت ملائك تحلق بالأرواح عاليا منذ الأزل.

حين أذكر الشرق والصحراء، تهب علي نفحات صوفية من تخوم أولئك الشعراء الذين مازلت وفية لمحبتهم على تصاريف الزمان. أحد هؤلاء شيخ القصيدة الصوفية الرسالية حسن الأمراني.الشاعر الذي طاف البلاد شرقا وغربا. من نهر الكانج حتى نهر التايمز. هل يدري هذا الشاعر أنه كان في تطوافه يحمل في جبته أرواح مريديه من الشعراء؟. هو الشاعر الذي ينتمي إلى جيل الهزيمة والنكبات؛ لكنه ظل مصرا على أن يطلق صيحة ولو كانت نفخة في رماد، لكن هل يعلم حسن الأمراني أن صيحته هزت قلوب محبيه وترجمت ألقا في حروفهم؟.

هو الشاعر الذي سئل يوما عن الغربة فردد ما ردده المتنبي حين قال:"إن النفيس غريب حيثما كانا". وحين سئل عن الإبداع في علاقته بالحرية رفع صوته قائلا:"إما أن تكتبوا أدبا تتحقق فيه الجمالية والرسالية، وإما أن تصمتوا، لأن الصمت أشرف من الغثاء الذي يزكم الأنوف في ساحاتنا العربية". ثم يواصل: "التبعية شر محض، والمثاقفة خير محض. والانغلاق لم يعد ممكنا. لا بد من تحقيق التوازن مع الذات،".

هل كان يدري الشيخ حسن الأمراني أن مريديه حفظوا وصاياه فكان لا بد لهم من أن يصونوا النفاسة والغرابة والرسالية والجمالية. وأن يحاربوا التبعية والغثاء والانغلاق؟. ها أنت يا شيخي قد سننت فينا سنة رائعة لن تبلى ما بليت أجسادنا...

شيخ هذه المدرسة شكل رؤيته للشعر من خلال قراءته الثرة لدواوين الشعر قديمه وحديثه، فانسجمت رؤيته إلى القصيدة مع تربيته وثقافته ليقول:"إن كل ما هو إنساني إسلامي، لم تعد تعنيني التصنيفات الأدبية؛ المهم أن أكون صادقا مع نفسي ومع أمتي ومع الناس".

هل يدري حسن الأمراني أنه ممن علمونا أن نكون صادقين في كتاباتنا، لأنه ببساطة كان منظرا لأدب الصدق في كل كتاباته ودواوينه التي تربو على العشرين.

حسن الإمراني الإنسان الذي أعرفه كأدبه. وأدبه صورة عن جوهره، فهو رجل الفطرة والنقاء والبساطة والعمق والصدق والحياء. ينسجم ظاهره مع باطنه، وينعكس داخله الوضيء على محياه وأفعاله.

مواقفه في الحياة هي مبادئ مدرسته الشعرية العميقة،الينابيع الصافية في غرابتها، الغريبة في نفاستها، الحرة، المنفتحة، المعتدلة، والتي أصرت على أن تثبت ذاتها في توازن وشموخ.

في مدرسة شيخي الكبير، شيوخ كثيرون. ما أعظم أثرهم في نفسي. هم الذين فتحوا الشرق على فاس حيث أنا، لتهب علي نسائمه الشعرية حرة دفاقة، ولتعبد أمامي الطريق التي قصدت على قصدها.

شيخي حسن الأمراني من أولئك الأساتذة الذين لم يربطني بهم جرس مدرسة ولا أسوارها، ولكن القدر العظيم وضعهم في طريقي ليشكلوا مدرستي في الشعر وفي الرؤية وفي الحياة. وليكونوا القطب الذي مارس علي جذبه الرائع...

حسن الأمراني من أولئك الذين علموني كيف أفكر في القصيدة وكيف أنسج رداءها، وكيف أخط جدد مجازاتها. وحسن الأمراني من شيوخ هذه المدرسة الصامتين الناطقين الذين رقموا على رخام الذاكرة ومرآة القلب وصاياهم فنبتت خلفهم أقلام كأنها الرجال في هاماتها. وله الفضل في كونه أحد المؤسسين لمدرسة صوفية رائدة حبوت نحوها ذات مساء وأنا أقول:

"حدثني قلبي المفتون بآيات الشعراء
أن الحبر المعصور من الشجر المجتث غثاء وهباء
قال الأمراني: أدخل من باب الحبر بساتينا من كلمات
فعسى يقع القلب بها بين رياض دمثات
وعسى تبصر وجهه فيها نبع ضياء
رد الرباوي: كيف؟ والبستان بعيد بعدي عني
لن يصل القلب إليه إلا عبر مجاهل هذي الصحراء
فأجبت ووصايا الشيخين تشق الطين إلى نصفين
وتشق الحبر إلى بحرين
وتشق الخطو إلى نجدين
سأسن من الحرف الفرع الثابت في العلياء
فعساني أفتح بعدكما مقامات رضى وبساتين بهاء
وعساني أذبح بالحرف مناة الذلة فينا
ما الذي يبقى من الحرف؟
ما الذي يبقى من الحرف إذا لم يتوضأ بمياه العز ونيران إباء".

تراني يا شيخي هل كنت وفية لأنوار الشرق وأنداء الصحراء التي هبت علي من هنا، من وجدة، ذات مساء؟. تراني هل كنت سأهيم في كل واد لو لم تمتد أياديكم نحوي بتوفيق من رب السماء؟

---

* نص الشهادة التي ألقتها الأستاذة أمينة المريني في حفل تكريم الشاعر الأديب الدكتور حسن الأمراني الذي نظمه اتحاد كتاب المغرب بمدينة وجدة بتاريخ 30 أكتوبر 2014.

شرم الأربعين الأدبية [43]

د. الحسين زروق

في أن في الرد على المشركين شفاءً (2)

رأينا في الحلقة السابقة المسألة الأولى من مسائل حديث دعوة النبي ﷺ الصحابة إلى الرد على هجاء قريش، وهي المسألة الخاصة بسبب الورود، وسنخصص هذه الحلقة للمسألة الثانية الخاصة بتكليف شعرائه الثلاثة بالرد.

ثانيا: تكليف الشعراء بالرد:

أول ما يلاحظ في النص أنه انطلق من الأمر العام بالرد: «اهجوا قريشا؛ فإنه أشد عليها من رشق بالنبل»، إلى الأمر الخاص والتكليف المباشر، فكان في الأول تكليفُ عبد الله بن رواحة، ثم بعده كعب بن مالك، ثم حسان بن ثابت.

ولفظ التكليف العام سبق أن كانت لنا معه وقفات، ويهمنا من ذلك هنا أنه دعوة عامة إلى الرّد، وإشارة إلى أهمية ذلك وأثره على قريش.

والظاهر أن التكليف العام سببه غياب الشعراء الثلاثة وقتها كما يُفهم من لفظ «فأرسل» في الحديث.

والإرسال إلى ابن رواحة، ثم إلى كعب، يفيد أحد أمرين:

كون الدعوة النبوية إلى الرد لم تلق استجابة لسبب من الأسباب.

أو كون النبي ﷺ فتح في الأول الباب للجميع للتعبئة العامة، ثم خص شعراءه بالتكليف، ليكون في حق هؤلاء آكد، ومراعاة لفضل الشعراء الثلاثة في الشعر والدفاع عن الإسلام والمسلمين.

وفي الحديث إشارة إلى أن النبي ﷺ أمرهم بقوله: «اهْجُوا/اهجُهُم»، وأن عبد الله ابن رواحة «هجاهم، فلم يرض»، ومن فوائد ذلك أن رسول الله ﷺ سمع ما قاله ابن رواحة، وأن شعره لم يُرضه، وأنّ عَدَم رضاه عن أدائه الشعري سببُ الإرسال إلى كعب.

ويَحْتَمِل الإرسالُ إلى حسان بَعْدَ كعب أمرين:

كونه هو أيضا لم يُرض، وسَكتَ الراوي عن ذلك؛ لأنه يفهم من السياق.

وكون النبي ﷺ أراد المزيد من الرد فأرسل إلى حسان أيضا، وهذا ممكن كذلك.

وسواء أكان هذا أم ذاك، فإنّ مَذْهَبَ عبد الله بن رواحة في الهجاء مخالفٌ لمذهب كعب وحسان، فقد روى ابن عبد البر عن ابن سيرين أنه قال: «وانتُدب لهجو المشركين ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فكان حسان وكعب بن مالك يعارضانهم بمثل قولهم في الوقائع، والأيام، والمآثر، ويَذْكران مَثالبَهم، وكان عبد الله ابن رواحة يُعيِّرهم بالكُفر، وعبادة ما لا يَسمع ولا يَنفع، فكان قولُه يومئذ أهونَ القول عَليهم، وكانَ قَوْلُ حسان وكعب أشدَّ القولِ عليهم، فلما أَسْلموا وفقهوا، كان أشدَّ القَول عليهم قولُ عبد الله ابن رواحة» (1).

ومعلوم أن تعيير الكافر بالكفر غير ذي جدوى، ولا تأثير له، وقد يكون هذا سببُ عَدَم رِضا النبي ﷺ عن شعر ابن رواحة.

وهناك عامل مُرجِّح لأنْ يكون النبي ﷺ لم يَرض ما قاله كعب أيضا ومن ثم أرسل إلى حسان، وهو أن شعر الهجاء لدى حسان وإن اشترك مع شعر كعب في الخصائص العامة إلا أنه ربما فاته في الجرأة، ودليل ذلك أننا نرى ابن هشام صاحب السيرة يورد له القصيدة ثم يحذف منها أبياتا، ويقول: «تركنا من قصيدة حسان ثلاثة أبيات من آخرها؛ لأنه أقذع فيها» (2)، «تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه» (3)...

والقصد عندنا أن شعر حسان فيه جرأة، وأن تلك الجرأة هي التي جعلت النبي ﷺ يفضل شعره على شعر غيره في هجاء قريش، إلا أن قبول الجرأة شيء وقبول الإقذاع شيء آخر؛ إذ الثاني جرعة زائدة في الجرأة لا نعلم ما إذا كان النبي ﷺ قد علّق عليها ولم يصلْنا تعليقُه، أم سكتَ لأسباب قد يكون منها حساسية الظرف الذي جاءت فيه، والتوتر النفسي الذي كان يعيشه المسلمون بسبب الهجوم الشعري القرشي عليهم.

وعلى كل حال، فلا علاقة بين كون ابن رواحة وكعب لم يُرضيا وبين شاعريتهما؛ إذ المقصود أنهما لم يحققا ما أراده النبي ﷺ، ولم يَصلا إلى مرحلة الشفاء التي وصلها حسان كما سنرى بَعْد.

وينبغي أنْ لا تفوتنا في موضوع التكليف بالرد مسألتان من الأهمية بمكان:

الأولى هي أن الريادة في الرد كانت للأنصار، وقد يكون سبب ذلك ما راكمُوه من تجربة شعرية جعلتهم في الصدارة؛ إذ معلوم أن الإسلام لما دَخَل المدينة كانت للشعراء الثلاثة مكانة في الشعر، وكان النبي ﷺ بمكة قد سمع بشاعرية كعب بن مالك كما يُفهم من الحديث الذي دار بينهما في بيعة العقبة (4).

وأما المسألة الأخرى فهي أن النبي ﷺ لم يَسمح لحسان بالرد إلا بعد تحصيل العلم بنسب قريش ومَحَل نسب النبي ﷺ منه، ومن ثم أرسله إلى أبي بكر الصديق؛ لأنه «أعلم قريش بأنسابها»، وقد ظهر من ذلك أن لأبي بكر مهمتين: الأولى أن يلخّص لحسان نسب النبي ﷺ حتى لا يهجوه من حيث لا يدري، والثانية أن يُطلعه على أنساب قريش؛ ليعلم من أين يمكن أن يهجوهم، وقد يُفهَم من ذلك أن أبا بكر أطلعه على نقط الضعف في تلك الأنساب.

---

1 – الاستيعاب، ص: 165، ترجمة حسان بن ثابت، رقم 518.
2 – سيرة ابن هشام، 322/2.
3 – م.س، 323/2
4 – ؟؟؟

خواطر عن موسم الحج (2)

الإحرام: يكفي المسلمين خيرا لو فقهوا شعيرة الإحرام

د. الطيب الوزاني

أولا الإحرام: دلالات ونظرات

العنوان البارز للحج، والمظهر الخارجي لنية القصد إلى الله بنسك الحج والعمرة هو لباس الإحرام.

ولباس الإحرام والنية الدخول فيه به يستهل الحج وبه يصح، وبدونه لا حج ولا نسك.

والإتيان بالإحرام قواعد ومقاصد، أحكاما وحِكَما هو المطلوب المرغوب..

وإعلان نية الإحرام أن يقول المحرم ما علمنا رسول الله ﷺ: "لبيك اللهم حجا لا رياء فيه ولا سمعة"، أو: "لبيك اللهم عمرة لا رياء فيها ولا سمعة"، أو:" لبيك اللهم عمرة متمتعا بها إلى الحج لا رياء فيها ولا سمعة". وبحسب نوع النسك الذي يكون العبد مقبلا عليه : قِرانا أو تمتعا أو إفرادا.

إعلان النية بهذه الألفاظ والعبارات لا يكون إلا متضمنا معاني الخلوص من الرياء والسمعة (الشرك الأصغر): كلمات وعبارات تعكس معاني التجرد الكامل لله تعالى إخلاصا وابتغاء لوجه ربنا الأعلى وحده لا شريك له دون أدنى ما يشوبها ويكدر صفوها.

إنها كلمات يظل الحاج والمعتمر ملتزما بقواعدها ومقاصدها، متوقيا ومترقيا:

متوقيا من مبطلاتها وموفيا بواجباتها وسننها ومقيما نفسه على الوفاء بشرائطها وفرائضها جوهرا ومظهرا، رغبة ورهبة، قلبا وقالبا، نية وعملا..

ومترقيا في مراتب القرب من ربه جل وعلا: إسلاما وانقيادا، إيمانا واعتقادا، إحسانا وازديادا...

لذلك فقد شرع للمحرم بعد أن يعلن نية الإحرام أن ينطلق في التلبية تلبية أمر الله تعالى ونهيه... كلمات التلبية تردد جهرا ويستقيم على مقتضياتها أمر المسلم طيلة أيام النسك وطيلة بقاء العبد في البلد الحرام، بل هي الحال التي يلزمه أن يكون عليها مع ربه على الدوام.. فالتلبية ليست كلمات تقال وحسب، وإنما هي تقال لفظا وعلنا، ويُلتزم بها ظاهرا وباطنا، ويوقف عند حدودها مبنى ومعنى. بها يشهد العبد على نفسه أمام ربه الواحد الأحد، وأمام ملائكته وأمام عباده أنه مستجيب لكل ما أمر به الله تعالى على وجه الرضا به والمسارعة إليه..

والإحـــرام هـو جـواز السفر الشرعي وتأشيرة الدخول إلى البلد الحرام، وإلى بيت الله الحرام، على قوانين الإسلام وهدي النبي العدنان من الاستسلام لرب العباد والسلم مع العباد.

وقد حد رسول الله ﷺ لكل داخل للبلد الحرام مكانا ووقتا للإحرام يسمى الميقات ولا يدخل أحد هذا البلد إلا مُحْرما معلنا عن نيته بالإحرام ظاهرا وباطنا. قولاً وفعلا.

الإحرام لباس أبيض في حق الرجال ليدل دلالات منها:

- وجوب أن تكون السريرة نقية كنقاء اللون الأبيض، وليدل أن المسلم ينبغي أن يكون نقيا في مظهره ومخبره، نقيا في تفكيره وتعبيره وتدبيره، خالصا لله تعالى مخلصا له جل وعلا، وأن حالة الإحرام هي الحالة الأرقى والأنقى والأتقى التي ينبغي أن يكون عليها المسلم على الدوام.

- مظهر من مظاهر تساوي العباد أمام رب العباد، فلا فرق بينهم في اللباس والطيب والزينة ولا الأحساب والأنساب، وإنما الفرق بقدر ما في قلوبهم من الإخلاص والتقوى.

الإحرام تجرد لله من المحيط والمخيط، يعكس أن العبد قد أقبل على الله جل وعلا وقد نزع ما له من كسب الدنيا، وأقبل على الله تعالى مفتقرا يبتغي الأخرى، وليس غير الأخرى.

الإحرام لحظة بداية الذكر الذي لا يتوقف حتى دخول الكعبة، ولحظة الجهر بالتلبية وشكر المنعم على ما أنعم : "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك" كلمات ذات معان وجلال وجمال تناسب مقام المنعم ذي العزة والجلال؛ مقام إفراد الله وحده بالإسراع في تلبية أمره ونهيه والمسارعة في ذلك، تلبية تشعر ألفاظها في مقامها بتوحيد الله تعالى والإخلاص له ونفي الشريك عنه. والتلبية شهادة وإشهاد على إلزام النفس بالحفاظ على البلد الحرام وبيت الله الحرام نقيا من الشرك طاهرا من الأرجاس والضلالات" لبيك لا شريك"...

الإحرام فيه إقرار بنعمة المنعم "لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك".. إنها نعم الإيجاد من العدم والإمداد بسائر النعم، نعم الخلق والرزق، نعم الرعاية والهداية ، ونعم النصرة والولاية... نعم لا حد لها ولا نهاية.. ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.

ثانيا: مقتضيات وامتدادات

حقيقة إن الإحرام في ظاهره لباس وأقوال، ولكن في باطنه تكليف عظيم الأثر في إصلاح الأحوال والأقوال والأعمال، إصلاح تصور المسلم في ربه واليوم الآخر، وتصحيح سلوكه مع ربه ومع نفسه ومع غيره، وتمتين التزامه بقضايا الأمة:

فهو يدرب المسلم على الإخلاص التام في الإيمان والعمل. ونفي أن يشوب ذلك شائبة مما يحبط العمل.. وهذا مطلوب من المسلم في حياته كلها وليس في الحج وحده.

ويدرب المسلم على تصحيح سلوكه ومراقبة أفعاله إذ المحرم يعيش طيلة إحرامه حالة من التأهب القصوى واليقظة المثلى في مراقبة سلوكه والحذر من السقوط في نواقض الإحرام ومبطلاته، ويظل خلال إحرامه مقبلا على الله تعالى مجتهدا في الطاعات والقربات، ملتزما آداب الحج : ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:197)، والحياة كلها تتطلب اجتناب المنهيات والتزام المأمورات..

فعلا يلاحظ المرء في موسم الحج أن حال الناس في التعبد والتخلق يكون فيها حرص كبير على الإخلاص وابتغاء وجه الله تعالى وتجنب ما ينقض النسك ويبطله.

وكم كان يعجبني منظر التزاحم على مقرات الإفتاء والإرشاد الديني للسؤال عن حكم الشرع في ما وقع فيه الحجاج من أخطاء أو ما توهموا أنه من الخطأ المبطل للحج أو الموجب للكفارة والفدية، إنه منظر الآيبين التائبين الذين ذاقوا حلاوة القرب من الله جل وعلا وعظمت في نفوسهم شعائر الله تعالى: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ فسعوا مسرعين إلى تطهير أعمالهم بما يليق بمقام القرب والاجتباء..

وكنت أفرح لهذا المشهد من التوبة وأقول: ليت الناس يستصحبون هذه الأحوال الإيمانية معهم إلى بلدانهم وأقوامهم!! ليتهم يحافظون على هذه اليقظة الإيمانية والسلوكية!!

نعم إنها الصورة التي ينبغي ويجب أن يكون عليه المسلمون في كل حين: سلوك البحث عن حكم الشرع في كل فعل والامتثال لذلك الحكم، وتكريم العلماء وتأهيلهم للقيام بواجب الهداية والإرشاد...

فما أحوج الأمة أن تكفر عن ذنوبها بالصيام في ما يجب فيه الصيام ، وبالمال في ما يجب فيه المال، وبرد المظالم في ما يجب فيه رد المظالم، آنذاك وآنذاك فقط سيصلح حالها وترقى إلى مرتبة الولاية والاجتباء الرباني لها كلا وجزءا..

نعم الإحرام في الحج صورة نموذجية لما ينبغي أن يكون عليه حال المسلم من استقامة التصور، وسلامة العقيدة، وصلاح السلوك، وقوة الالتزام بقضايا الأمة ..

ولست مبالغا إن قلت: يكفي المسلمين خيرا لو فقهوا شعيرة الإحرام، ويكفيهم صلاحا لو التزموا بروح الإحرام ومقاصده في حياتهم، ويكفيهم لو استسلموا لله حق الاستسلام وسالموا الخلق حق السلام كما يكون حالهم في الإحرام، فليس تعظيم حرمات الله تعالى مقصورا على البلد الحرام وإنما هو "من تقوى القلوب" الذي ينفع الله به الناس في كل الأزمان والبلدان، ويصلح به أحوال الأمم والشعوب..

تعزيات

إنا لله وإنا إليه راجعون

ببالغ الأسى والحزن تلقت أسرة جريدة المحجة نبأ وفاة والدة أخينا فضيلة الدكتور محمد بريش حفظه الله ورعاه،

وبهذه المناسبة نتقدم بأحر التعازي لأخينا ولأسرة الفقيدة سائلين الله جل وعلا أن يتغمدها برحمته ويشملها بعفوه ومغفرته ويكرمها برضوانه ويسكنها فسيح جنانه، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يرزق أبناءها وذويها الصبر والاحتساب ويحفظهم جميعا من كل مكروه

فلله ما أعطى ولله ما أخذ

ببالغ الأسى والحزن تلقت أسرة جريدة المحجة نبأ وفاة السيد موحى صدقي عم أخينا رشيد صدقي حفظه الله ورعاه،

وبهذه المناسبة نتقدم بأحر التعازي لأخينا ولأسرة الفقيد سائلين الله جل وعلا أن يتغمده برحمته ويشمله بعفوه ومغفرته ويكرمه برضوانه ويسكنه فسيح جنانه، كما نسأله سبحانه وتعالى أن يرزق أبناءه وذويه الصبر والاحتساب ويحفظهم جميعا من كل مكروه

فلله ما أعطى ولله ما أخذ

خروق في سفينة المجتمع

د. عبد المجيد بنمسعود

50 ـ التعصب الأعمى

ورد في «لسان العرب» لابن منظور: «التعصب : من العصبية. والعصبية: أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم على من يناوئهم ظالمين كانوا أو مظلومين.» وهو -أي التعصب- بهذا الاعتبار لا يمكن وصفه إلا بالأعمى، لأن الموصوف به يتساوى عنده الحق بالباطل، بل إنه مع استحكام هذه الصفة وتجذرها في نفسيته يصبح متماهيا مع كل ما يدعم أفكاره وأطروحاته الظاهرة البطلان، نافرا من كل ما ينافيها ويؤكد تهافتها وبطلانها، ولو كان الحق فيها ظاهرا ظهور الشمس في واضحة النهار، وقد يظل جامدا على تصوراته ومفاهيمه، حتى ولو جاءه البرهان ممن كان يوما ما يقتسم معه بعض الاقتناعات، فأمر المتعصب أشبه بمن يضع عصابة سميكة على عينيه، ثم يتحرك على أرض متشعبة المسالك، محاطة بالأخاديد والحفر والمهالك، ولا يأبه مع كل ذلك لما يداهمه من أخطار تعود عليه وعلى من يشاطره نفس المسلك والمنحى، وهذا ما تفيده إحدى الدلالات اللغوية لمادة «ع ص ب» في قواميس اللغة.

وإذا كانت سفينة مجتمعنا المغربي يستتب أمرها ويستقيم إبحارها بتوفر ربان ماهر يدبر دفة الأمور بحكمة وروية، وبعد نظر يأخذ في الحسبان كل عناصر المشهد، ويعطي سائر عناصر الكيان حقوقها على أساس من العدل والقسط، فإن هذه السفينة تكون معرضة للشروخ والخروق والتصدعات في إحدى حالتين: أولاهما أن يسطو على زمامها ربان يفتقد إلى المهارة والنضج، فضلا عن الحكمة التي تؤهله لمواجهة الرياح والأمواج، وسوق السفينة إلى بر الأمان، وثانيهما أن تشيع فيها «ثقافة» التعصب، ويكثر المتعصبون، وخاصة من يأخذون على عواتقهم مهمة التنظير لهذه «الثقافة» المريضة التي تسمم الأجواء، وتزرع الإحن والأحقاد، والتي يتخذونها مطية لبلوغ مآربهم الدنيئة وأهدافهم الخسيسة، ولا يهمهم بعدها أن ترتطم السفينة بالصخور، أو تبتلعها الأمواج.

ومن قبائح التعصب أنه يحجب عن المصاب به كل الحقائق والوقائع، فلا يرى إلا ما تريه إياه عصبيته التي تقتضي منه أن يدور حول أفكاره المغلوطة وخيالاته المريضة دوران الحمار حول الرحى، ولا يكاد يبرحها -إن حصل في أحوال نادرة- إلا ليعود إليها عودة المهووس المسكون برعب شديد، مخافة السقوط في هوة التيه والفراغ، أو الشعور الكاسح بفقدان قضيته التي يتعيش بها ولا يرضى بها بديلا وإن كانت هي الباطل بعينه.

وإن المتابع للمشهد الثقافي والفكري في مجتمعنا المغربي لا تخطئ عينه نماذج من المتعصبين المشهود لهم بالإمامة في معانقة التوجهات الشاذة والغريبة المشاكسة لمصلحة السفينة وسلامتها، ويتبجحون في الإعلان عنها في المحافل، وعبر كل الوسائل والمنصات.

وأمثل في هذا المقام بنموذج شرس في عصبيته للأمازيغية، مستميت في الدفاع عنها باعتبارها لديه قضية مقدسة قداسة الدين وتعاليمه، فهو لا يمل من لوكها وتعبئة أنصارها وتحريضهم على الإخلاص في حملها والحذر من كل من يتربص بها أو ينتقص من قدرها.

ولست أقصد هنا بالأمازيغية اللغة، فهي تقتسم مع غيرها من اللغات أو الألسنة التعبير عن آية من آيات الله المتمثلة في اختلاف الألسنة الواردة في قوله تعالى: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ (الروم: 22)، وإنما أقصد ما يرمي إليه دعاة الأمازيغية من اعتبارها بديلا عن العربية والإسلام، أي اعتبارها لغة ودينا وثقافة وحضارة ينبغي أن تشكل كيانا مستقلا ينزع إلى التضخم مع الزمن إلى زحزحة العرب والمسلمين باعتبارهم غزاة أو دخلاء.

النموذج الذي أقصد أن أضربه مثلا للتعصب المذموم، ظهر في أحد البرامج التلفزيونية المخصصة للشأن الأمازيغي، والتي يتولى إعدادها وتقديمها أسبوعيا على قناة «المغربية»، ظهر في الحلقة الماضية، أي الأربعاء 26 . 11 . 2014، في حوار مع ضيفه الذي هو مفكر متخصص في علم الاجتماع السياسي. لقد كان مقدم البرنامج طيلة لحظات الحوار يداور ويناور من أجل أن يجر ضيف البرنامج إلى أطروحته التي تتمثل في الإيمان بمظلومية الأمازيغية كشعب ولغة وثقافة وكل شيء، ولكنه وجد نفسه أمام رجل حنكته تجربة البحث السوسيولوجي العميق، وأنضجته خبرته وإيمانه بالوطن المغربي ككيان موحد ينبغي أن يصون مكاسبه الوحدوية وينأى عن كل النعرات التي تؤدي به إلى التفكك والتشرذم، أو إلى التشكيك في إمكانيات الحفاظ على التماسك والأمن، بدعوى أن مكونا من مكونات المجتمع المغربي، هو الأمازيغية، مهضوم الجانب، على مستوى الوجود، ليس الاجتماعي فقط، وإنما الوجود العقدي والحضاري، كما سبقت الإشارة.

لقد ظل عالم الاجتماع طوال حلقة البرنامج مستعصيا على الاختراق والاستدراج، وأنى للمتسلح بأفكار متكلسة قائمة على التعصب والتحيز أن يقف أمام متسلح بالعلم والمعرفة والخبرة الواسعة بالواقع ومكوناته، واسع الأفق بسبب إيمانه بقضية الوطن الكبرى: قضية الوحدة القائمة على ثوابت هوية الأمة الحضارية التي تنصهر فيها جميع الألوان والخصوصيات.

إن سفينة المجتمع المغربي تحتاج من بين ما تحتاج إليه، لسلامة الإبحار، إلى إشاعة ثقافة الحوار المسلح بالعلم والمعرفة، والتي تنسف، عبر الحوار الهادئ والسجالات العلمية، كل المهاترات والأطروحات المزيفة التي تعرقل السير وتعطل الطاقات، والتي هي من بنات الهوى الذي لا يستقيم معه أمر ولا يقوم به كيان.

يقول الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ (الفرقان:43)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون 71).

مجرد رأي

د: عبد القادر لوكيلي

أعزة على الكافرين

... هي مواقف عزة وإباء وقفها حكام مسلمون وعلماؤهم ومفكروهم على امتداد التاريخ الإسلامي الجميل، دفاعا عن كرامة الإسلام وإعلاء لرايته وصونا لكرامة أتباعه ومعتنقيه طاعة لله وابتغاء لمرضاته اقتداء بهدي رسوله الكريم ﷺ الذي غرس في الأمة أخلاق العزة والكرامة والإباء خاصة مع الكافرين المحاربين لدين الله جل وعلا...

لم تكن مواقفهم تلك من نوافل الأعمال، ولكن كانت من أوجب الواجبات بالنسبة لهم ومن متطلبات نشر هذا الدين وتبليغه للعالمين حتى يكون (رحمة للعالمين)... فلا غرو أن يظل الإسلام مصونا عزيزا قويا ويظل المسلمون وحتى أهل الكتاب تحت حكمهم أعزاء مرفوعي الرأس والكرامة... أقوياء بعقيدتهم أعزاء بانتمائهم لا يتجرأ عليهم أي كلب عقور من الحاقدين على هذا الدين كائنا من كان... فكان أعداؤهم يهابونهم ولا يتجرؤون على إهانتهم أو امتهان أي رمز من رموز عقيدتهم ولذلك عاشوا أعزاء... أعزوا هذا الدين وحموا بيضته فأعزهم الله ورفع قدرهم حتى صاروا قدوة للعالمين... فانفتحت لهم قلوب العالمين قبل أن تنفتح لهم الأمصار فنشروا العدل والرحمة والمحبة والقيم الرفيعة في أصقاع الدنيا ولا تزال آثارهم تشهد عليهم... كان ذلك في الزمن الجميل... قبل أن يهينوا فيهينهم الله حتى أصبح سفهاء الكفار والحاقدين على هذا الدين من المنتسبين إليه يتجرؤون عليهم تارة من خلال الاستهزاء برسولهم الكريم وطورا بإحراق قرآنهم أو حتى التبول عليه ناهيك عن إبادة الأقليات المسلمة بل وحرقهم أحياء يرزقون كما يقع لمسلمي ميانمار أو مسلمي الروهينجيا وغيرها من بلدان العالم حيث الأقليات المسلمة... أو حتى البلاد الإسلامية مع الأسف الشديد، وما يقع لمسلمي سوريا أو أهل السنة في اليمن والعراق ليس عنا ببعيد.... فصدق علينا قول الشاعر

تشتت شملهم إلا علينا حتى ((●)) صرنا بينهم كالفريسة للكلاب

... أمام هذا الهوان الذي أصاب المسلمين في هذا الزمن الأغبر، دعنا نستروح بعضا من عبق الزمن الجميل ... زمن العزة والكرامة مع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني رحمه الله تعالى.

تناهى إلى علمه أن أحد سفهاء المسرحيين الفرنسيين يعد العدة لعرض مسرحية مسيئة لرسول الله ﷺ في جميع مسارح أوروبا...غضب السلطان غضبا شديدا فأمر بالتعبئة الشاملة للجيش كما أمر حاشيته من الوزراء والمستشارين أن يلبسوا لباس الحرب اقتداء به. بعدها أستدعى القنصل الفرنسي إلى القصر... لما دخل على السلطان سقط في يديه واندهش لما رأى الجميع بلباس الحرب بما في ذلك السلطان نفسه... ابتلع ريقه وقال للسلطان في خوف ووجل «وصلت الرسالة يا مولاي السلطان»... غادر بعدها القصر وللتو بعث لحكومة بلاده رسالة مستعجلة مفادها : «هذه الدولة مستعدة لدخول الحرب من أجل مسرحية... أوقفوها فورا». وبالفعل تم منع عرض المسرحية بقرار حكومي على مستوى عال جدا...

بنبض القلب

ارتسامات سائح في بلاد محمد الفاتح (4)

في ضيافة سليمان المفترى عليه

د: أحمد الأشهب

إلى جانب كثرة المساجد التي تتميز بها استمبول، هناك الكثير من القصور الرائعة، ذات التصميم الهندسي الذي قل نظيره في العالم، ففي هذه المدينة يوجد أكبر قصر من حيث المساحة إلى جانب أفخم قصر من حيث الأبهة والثراء، وهما موضوع هذا الجوله :

1 - قصر طوب كابي Topkapi :

وتعني بالعربية «قصر باب المدفع»... عرف المغاربة هذا القصر من خلال مسلسل «حريم السلطان» حيث كان مسرحا لدسائس الحريم وقساوة السلطات سليمان القانوني، وهي الصورة الخاطئة التي رسمتها حلقات هذا المسلسل بجزئيه الأول والثاني، فهذا العقد العظيم سكنه أربعة وعشرون سلطانا عثمانيا، من أصل ستة وثلاثين تعاقبوا على حكم الامبراطورية، وكان أعظمهم السلطان سليمان القانوني(×) الذي بلغت الفتوحات في عهده أقصاها، وامتد حكمه على ثلاث قارات (آسيا - أوربا - إفريقيا)، حيث يقول المؤرخون إنه أكبر امبراطور مر في التاريخ، ولم يُعْرف ملك أكبر من ملكه سوى ملك سليمان عليه السلام، ففي عهده تم فتح بلاد المجر والبلغار، والتي عجز السلاطين الذين سبقوه بمن فيهم محمد الفاتح على فتحها، وكان ذلك سنة 932هـ 21 ذي القعدة الموافق 29 غشت 1526م في معركة تدعى «موهاكس».. كما حاصر فيينا، ولم تتميز فترته بالفتوحات فقط، بل عرفت العلوم في عهده أوج ازدهارها، وكان السلطان الذي على يده قامت السنة وقمعت البدعة وحورب الروافض، كما كان شوكة في حلق أوربا فقد قال عنه المؤرخ الألماني هالمر (..كان هذا السلطان أشد خطرا علينا من صلاح الدين نفسه..) وقال عنه المؤرخ الانجليزي هارولد (..إن يوم موته كان من أيام أعياد النصارى..).. وهو أول من لقب بخادم الحرمين الشريفين بعد أن تنازل له الخليفة العباسي عن مفاتيح الحرمين... تولى الحكم وهو ابن السادس والعشرين (سنة 926هـ) ودامت فترة حكمه ثمانية وأربعين عاما، كانت كلها كفاحا وجهادا وخدمة للاسلام والمسلمين، وكان أول من وضع قانونا متكاملا بمساعدة العالم الجليل أبو السعود أفندي صاحب تفسير «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» هذا غيض من فيض، فكيف لرجل مثل هذا أن يكون له وقت للهو والمجون... ونحن نلج البوابة الكبرى لعقد طوب كابي، أول ما يصادفك هو مكتب السلطان سليمان القانوني، حيث كان يصدر «فرْمانته» أي قوانينه، وهو أشبه بغرفة نوم بها سرير فخم ومكتب وبعض المقتنيات النفيسة... ويضم القصر حديقتين، واحدة في وسطه وأخرى في الجهة الخلفية تطل على البوسفور في منظر رائع جدا، وقد كانت هذه الحديقة محببة للسلاطين الذين مروا من هنا، حيث كان يحلو لهم تناول طعامهم من شرفة القصر المطلة عليها وعلى البوسفور... يُوجد بالقصر عدة متاحف، أهمها المتحف الاسلامي الذي يضم أجزاء من الكعبة المشرفة بعد إعادة بنائها من طرف العثمانيين (ميزاب العكبة، حافظة الحجر الأسود...) إضافة إلى سيوف بعض الصحابة رضوان الله عليهم، ومصحف حفصة رضي الله عنها، وأشياء أخرى لا ندري مدى صحتها : كعمامة يوسف عليه السلام ورداء فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقارورة تحتوي على شعر الرسول ﷺ كما تزعم الكتابات التي تُعرف بمحتويات هذا المتحف، إلى جانب ذلك هناك متحف يضم أروع الحلي التي كانت نساء القصر يتحلين بها وهي تنم عن بذخ كبير عرفته حياة بعض السلاطين ونسائهم... ويعد قصر طوب كابي أفخم قصر في كل أوربا إن لم نقل في كل العالم...

2 - قصر الحديقة المحشية :

بناه السلطان عبد المجيد، وهو أكبر قصر في العالم، يضم 285 غرفة، وطليت جدرانه بأربعة عشر طنا من الذهب المسال، توجد به أكبر «ثُريا» من الكريستال النادر في العالم، أهدتها الملكة فكتوريا ملكة بريطانيا للسلطان عبد المجيد، وقد سمي بقصر الحديقة المحشية نسبة إلى الحديقة الرائعة التي تتوسطه والتي أنشأها السلطان عبد المجيد تكريما لوالدته، وقد تحول هذا القصر إلى أغلى فندق في العالم، حيث يتقاطر عليه أثرياء العرب وغيرهم طيلة السنة.

بالرغم من أن هذه المعالم الرائعة تشكل اليوم ثروة سياحية وتاريخية تدر على تركيا أموالا طائلة، فإنها في وقتها كانت تؤشر على بداية انهيار مجد الامبراطورية العثمانية، لأن حياة اللهو لا تستقيم مع حياة الجهاد، ولنا في تاريخ الأندلس أكبر عبرة، ألم تقل والدة أبي عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحمر حين دخلت عليه وهو يبكي بعد سقوط قرطبة آخر معاقل الحكم الاسلامي بيد الاسبان (ابك بكاء النساء على ملك لم تصنه صون الرجال..) ؟؟

«حماس» تقرر إلغاء مهرجان انطلاقتها الـ (27)

قررت حركة المقاومة الإسلامية «حماس» إلغاء مهرجان انطلاقتها الـ(27) انسجاما مع الأوضاع المعيشية لأهالي قطاع غزة.

وقالت دائرة العمل الجماهيري لحماس في بيان لها اليوم «إن إلغاء المهرجان جاء انسجاما مع الأوضاع المعيشية في القطاع في ظل الحصار الخانق المطبق على غزة وتأخير الإعمار .

وأكدت الحركة في البيان على تكريس كل الجهود والإمكانات والعمل الجاد للتخفيف من معاناة المكلومين والمتضررين جراء العدوان الأخير على قطاع غزة.

النائب العام المصري يطعن بحكم براءة مبارك أمام محكمة النقض

قرر النائب العام في مصر هشام بركات، الطعن أمام محكمة النقض بحكم تبرئة الرئيس السابق حسني مبارك، الذي أقرته محكمة جنايات القاهرة، بعدما كان متهما بقتل متظاهرين إبان الثورة التي أطاحت بحكمه في 2011.

وأثار قرار التبرئة غضبا شعبيا كبيرا بمختلف المدن المصرية. في بيان رسمي أصدرته النيابة العامة في مصر، أعلن النائب العام المصري هشام بركات الطعن أمام محكمة النقض بحكم تبرئة الرئيس السابق حسني مبارك الذي أعلنته محكمة جنايات القاهرة. وأثار الحكم بتبرئة مبارك ووزير داخليته حبيب العادلي وستة من معاوني الأخير من اتهامات بالتورط في قتل المتظاهرين إبان الثورة التي أطاحت مبارك مطلع العام 2011 استياء واسعا في مصر.

اسبانيا: لقاء اتحاد الجاليات الإسلامية

UNIÓN DE COMUNIDADES ISLÁMICAS DE ESPAÑA
إتحاد الجمعيات الإسلامية في إسبانيا

بالتعاون مع اتحاد الجاليات الإسلامية بـ«إسبانيا»، ومؤسسة التعايش والتعددية، سينظم اتحاد الجاليات الإسلامية بـ«إكستريمادورا» يوم السبت الموافق 6 من ديسمبر القادم – لقاءً تكوينيًا للاتحاد في مقر الجالية بـ«كاثيريس».

وفي اللقاء سيتم الحديث عن الآتي:

1- تاريخ وتطوير الجاليات الإسلامية بـ«إكستريمادورا».

2- أمثلة عن الأنشطة البارزة في كل جالية على حِدَة.

3- استعراض حقوق المسلمين بالغة الأهمية المتفق عليها في اتفاقية التعاون بين اللجنة الإسلامية بـ«إسبانيا» والدولة.

4- عرض للأنشطة التي تمت والتي سيتم إقامتها، وإقامة ورش عمل مع إعطاء أمثلة لذلك.

روسيا: أولمبياد الألعاب للشباب المسلم

تَم هذا الأسبوع افتتاح أولمبياد للألعاب بين الشباب المسلم في «قازان» عاصمة جمهورية «تتارستان» الروسية بين جميع المدارس الإسلامية، وتتراوح أعمار المتسابقين بين 15-25 عامًا. والألعاب التي يتنافس عليها المتسابقون هي: تنس الطاولة، والكرة الطائرة، وكرة القدم المصغرة، وألعاب القوى.في اليوم الأول للدورة كانت مباراة في لعبة تنس الطاولة.وستوزع على الفائزين في الألعاب الأولمبية جوائز وهدايا للفرق التي تفوز بالمراكز الثلاثة الأولى، وسيدعون لحفل عشاء خيري لمؤسسة «الزكاة». ونظَّم الأولمبياد لجنة الثقافة البدنية والرياضة، بالتعاون مع شعبة تطوير اللغة والتفاعل مع المنظمات العامة واللجنة التنفيذية لـ«قازان».

كوسوفا: ترويج لمجلة إسلامية تاريخية

قامت المشيخات الإسلامية في كل من «ألبانيا» و«مقدونيا» و«كوسوفو» بترويج لمجلة «الصوت العالي»، المطبوع من قبَل المشيخة الإسلامية في «ألبانيا». وتَم تنظيم الحفل في كلية الدراسات الإسلامية في العاصمة الكوسوفية «بريشتينا»، حضره رئيس المشيخة الإسلامية في «ألبانيا» الشيخ «سليم موتشاي»، ورئيس المشيخة الإسلامية في «مقدونيا» الشيخ «سليمان رجبي» ورئيس المشيخة الإسلامية في جمهورية «كوسوفو» الشيخ «نعيم ترنافا»، الذي تَم تحت رعايته هذا الحفل المبارك. وفي كلمته رحَّب مفتي «كوسوفو» الشيخ «نعيم ترنافا» بجميع الحاضرين الذين اكتظت الصالة بهم، والذين يمثلون مختلف الشخصيات الاجتماعية والثقافية والدينية من جميع الأراضي الألبان.

اليونسكو تدرج المعارف المرتبطة بشجرة الأركان في المغرب ضمن التراث الثقافي للإنسانية

أدرجت منظمة «اليونسكو» المعارف المرتبطة بشجرة الأركان في المغرب ضمن لائحة التراث الثقافي غير المادي للإنسانية.

وقد أعلن ذلك خلال الدورة التاسعة للجنة الحكومية لحماية التراث غير المادي المنعقدة في مقر المنظمة الأممية في باريس ، وأكدت المندوبة الدائمة للمغرب لدى «اليونسكو» زهور العلوي، في تصريح لوكالة الأنباء المغربية، أنه : «فخر كبير للمغرب أن يتم إدراج الممارسات والمعارف المرتبطة بشجرة الأركان، ضمن لائحة اليونسكو للتراث الثقافي غير المادي للإنسانية».

يذكر أن شجرة الأركان شجرة نادرة للغاية، تتواجد فقط في جنوب المغرب، وبعض مناطق الجزائر، وتشتهر بزيتها التي هو أغلى الزيوت في العالم لكثرة فوائده

المغرب : أمطار غزيرة تسببت في خسائر بشرية ومادية كبيرة

شـــؤون صغيـــرة

يلتقطها د. حسن الأمراني

استغفروا ربكم

ورد في الحديث الشريف: «سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني الثالثة، سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنين فأعطانيها، وسألت ربي ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألت ربي ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها». وقد روى هذا الحديث عدد من الصحابة، منهم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وهذه روايته.

إن الأمة اليوم تعاني ألوانا من العذاب. ومن مظاهر ذلك العذاب ما سلط عليهم من صنوف الإرهاب، ذلك الإرهاب الذي يصدر عن ثلاث جهات:

إرهاب أمريكا وربيبتها إسرائيل، وشاهده ما عانى منه الشعب الفلسطيني وما يزال منذ أزيد من ستين عاما، ثم ما عانى ويعاني منه الشعب العراقي والشعب الأفغاني. وما دخلت أمريكا أرضا إلا خربتها، ولا دخلت قرية إلا أفسدتها وجعلت أعزة أهلها أذلة، وإن زعمت أو زعم لها الزاعمون أنها تحمل للناس الحرية والديمقراطية والازدهار..

وإرهاب أنظمة الجور والاستبداد، تلك الأنظمة التي سلطت على شعوبها، فهي تسومها سوء العذاب، وهي تنزل عليها من التنكيل ما لا يقدر عليه العدو، فتتبع معها سياسة : (جوّعْ كلبك يتبعك) اقتصاديا، وتتركها منشغلة بالبحث عن الرغيف، ثم هي تبدد ثروات الشعوب على شهواتها هي، أو تهربها لتنام في خزائن أعدائها، ثم هي تقتل من تقتل من رجال الإصلاح، وممن يرفع صوته - لا سوطه - محتجا، وتغيّب من تغيّب في غياهب السجون والمعتقلات أو في المنافي.

والصنف الثالث هو إرهاب تنظيمات وجماعات غالية، مهما يكن لونها ومذهبها ودينها، حيث تخترم النفوس، وتخلط بين المحسن والمسيء، وبين المجرم والبريء، والغلو داء ليس محصورا في أتباع دين أو مذهب أو عقيدة. وقد نهى الله تعالى عن الغلو في الدين، فقال سبحانه: ﴿لا تغلوا في دينكم﴾ (النساء:171).

وأمام هذه المظاهر الإرهابية الثلاثة يغدو الحليم حيران، ويكاد يخلو كل فرد بخويصة نفسه، إن وجد إلى ذلك سبيلا. ونتج عن ذلك نتائج مؤلمة، منها هذا الاقتتال الشرس الذي اندلع بين شرائح من الأمة، فصار بأسها بينها شديدا، حيث لا أحد يستحضر خبر ابني آدم فيقول: ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين﴾ (المائدة:28). وقد يريد بعضهم أن يعتزل الفتنة فيصيبه رشاشها على غير رغبة منه، فكأن الأمر كما قال بعض الحكماء: (نحن نريد أن نترك العالم، ولكن العالم لا يتركنا). ويتساءل الناس: أما لهذا العذاب من غاية؟ أما لهذا الابتلاء من نهاية؟ وكأنهم في غفلة عن قول الحق سبحانه: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ (الأنفال:33). يعتصم الناس بأوهام حلول، وحبال آمال واهية، ويغفلون عن اللجوء إلى من بيده ملكوت السموات والأرض. ﴿أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم﴾. (المائدة:74).. إن الاستغفار هو الذي يكشف عن الأمة العذاب، وهو باب الرحمة دون غيره من الأبواب. ولكن الغفلة جعلت الناس يتعلقون بالمخلوق، يلتمسون عنده حلا لمشاكلهم، وما علموا أن ذلك المخلوق هو أصل بلائهم.

سيقول لك المرجفون والذين في قلوبهم مرض: يعتصم العقلاء بالتحليل الموضوعي والحلول العقلانية، وتعتصمون بالغيب؟ فنقول لهم: نحن أمة إذا ضيعنا الاعتصام بالغيب ضعنا، وقد ضعنا عن أنفسنا منذ ابتلينا بمن سلخنا عن هويتنا وكينونتنا، وتعلقنا بما زينه لنا أعداؤنا من الشعارات البئيسة التي ما زادت الأمة إلا رهقا.

في المؤتمر السادس للفكر الإسلامي الذي عقد بالجزائر في عام 1972، شارك فيلسوف مغربي بمحاضرة سعى إلى أن ينتقد فيها الإيديولوجيا العربية المعاصرة، ويبشر بالحلول المستوردة، ولا سيما الحل الاشتراكي، سبيلا وحيدا للخروج من وهدة التخلف الذي نعاني منه. فقلت له مناقشا: ألا يكفي أننا جربنا هذه الحلول في بلداننا العربية والإسلامية مدة عشرين سنة؟ ألا يمكن أن يكون الحل الإسلامي هو الطريق؟ ويبدو أنه استصغر محدثه الذي لم يكن آنذاك غير طالب من طلبة بلده، فاكتفى في إجابته بالقول: «يمكن!». وبالرغم من أننا شهدنا انهيار المعسكر الاشتراكي، ممثلا في نموذجه الأول، الاتحاد السوفياتي، إلا أن هؤلاء يكابرون، ولا يريدون أن يقبلوا دعوة داع إلى الله، وإلى الاعتصام بالاستغفار. وقد قال تعالى، على لسان نوح عليه السلام: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ (نوح:10 ـ 12)، وقال سبحانه: ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا﴾، (هود:3).

ذكر شيخ المعرة في رسالة الغفران أن الفضيل بن عياض كان من المتهتكين المنصرفين إلى متع الحياة الدنيا، فمر ذات يوم بقارئ يتلو: ﴿ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ (الحديد:16). فقال: بلى يا ربّ. ومنذ ذلك الحين أقلع عما كان فيه من التهتك، وتاب إلى الله عز وجل، وأقبل على العبادة، فبلغ ما بلغ مما هو معروف عنه من الزهد والولاية، رحمه الله تعالى.

إن أخوف ما نخاف منه أن تكون قلوبنا قد قست لطول الأمد، فنحن تعودنا رؤية المآسي التي تحل بأمتنا من قتل وتدمير، ونفي وتهجير، حتى صرنا لا ينبض لنا عرق، ولا يتحرك منا إحساس، ونحن نرى مشهد الهول بأعيننا، وكأن ما يصبحنا ويمسّينا لا يعنينا في شيء، وإن العادة حجاب، وإن الطامة أن تتحول العبادة إلى عادة، فلا تخشع لها القلوب، ولا ترق لها النفوس. والقلوب تصدأ، والاستغفار جلاؤها، والنفوس تمرض، والتضرع شفاؤها.

إلى أن نلتقـــي

قبسات من سيرة المصطفى ﷺ : الابتسامة

الابتسامة في وجه الآخر خلق شرعي حث عليه الإسلام من خلال العديد من النصوص، لما لها من أثر سريع في القلوب، وأقرب باب إلى النفوس، ولا شك أنها من الخصال الحميدة التي أجمع الخلْقُ على استحسانها وامتداح صاحبها، لأنها من الأمور التي فطر الله تعالى الناس عليها، ولذلك فهي من آداب الفطرة بامتياز.

ولقد كان رسولنا ﷺ الذي مدحه رب العزة بقوله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾، أكثر الناس تبسُّمًا، وأدومهم طلاقة وجه، لا يفرق في ذلك بين كل من يلقاه، حتى صارت الابتسامة عنوانا له في كل وقت وحين، وكان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله.

لقد كان لبشاشته ﷺ دور كبير في تجميع النفوس وتأليف القلوب، كما في وصف الله تعالى له : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

وتبعا لذلك فقد أثرت عن رسول الله ﷺ أحاديث عديدة في الموضوع :

ففي صحيح مسلم قوله ﷺ : «لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق»، وكما في الحديث المشهور أيضا:

وفي سنن الترمذي: «تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ لك صدقةٌ، وأمرُكَ بالمعروف ونَهْيُكَ عن المنكر صدقةٌ، وإرشادُك الرجلَ في أرض الضلال لك صدقةٌ، وبَصَرُكَ للرجل الرَّدِيء البصر لَك صدقةٌ، وإماطتُكَ الحَجَرَ والشَّوْكَ والعَظْمَ عن الطريق لك صدقةٌ، وإفراغُكَ من دَلْوِكَ في دَلْوِ أخيك لك صدقةٌ».

وروى الترمذي عن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه، قال: «ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله ﷺ».

وروى البخاري ومسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ »

وروى البخاري ومسلم أيضا وغيرهما عن جرير رضي الله عنه قال: "مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلا رَآنِي إِلا تَبَسَّمَ".

وروى البيهقي في شعب الإيمان، قوله ﷺ : «إِنَّكُمْ لا تَسَعون النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْط الْوَجْه، وَحُسْنُ الْخُلُق».

وفي مسند أحمد، عن أبي جُرَيّ الهُجَيمي، قال: «أتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إنا قوم من أهل البادية فعلمنا شيئا ينفعنا الله تبارك وتعالى به قال: «لَا تُحَقِّرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَو أَنْ تُفْرِغَ مِنَ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَقِي، وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ، وَلَا تُسْبِلِ الْإِزَارَ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ، وَالْخُيَلَاءُ لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَإِنِ امْرُؤٌ سَبَّكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تَسُبَّهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ؛ فَإِنَّ أَجْرَهُ لَكَ وَوَبَالَهُ عَلَى مَنْ قَالَهُ»

وفي طبقات ابن سعد عَنْ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أَنَّهَا سُئِلَتْ : كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَلَا فِي بَيْتِه ، قَالَتْ : « كَانَ أَلْيَنَ النَّاسِ وَأَكْرَمَ النَّاسِ وَكَانَ رَجُلًا مِنْ رِجَالِكُمْ إِلا أَنَّهُ كَانَ ضَحَّاكًا بَسَّامًا».

فلنسأل أنفسنا إلى أي حد نقتدي برسول الله ﷺ في هذا الجانب السلوكي؟ وخاصة في هذا الزمن البئيس الذي طغى فيه الغضب والعدوانية !

د. عبد الرحيم الرحموني